

مقدمة :

إذا استعرضنا تاريخ الفكر الإنساني منذ الأزمنة البعيدة أو حتى في العصور الحديثة، فسوف نجد أن هناك مللاً ونحلاً نالت اهتماماً كبيراً من جانب الباحثين في حين نجد في المقابل مللاً ونحلاً أخرى لم تتل مثل هذا الاهتمام، بل كانت نسياً منسياً، ومن هذه الملل التي لم تقع تحت دائرة الضوء وكانت من الملل المغمورة في البحث الصابئة، فعلى الرغم من أنها تضرب بجذورها في عمق التاريخ، فهي تعد من أقدم الطوائف الكبرى التي ظهرت في التاريخ القديم، إذ يرجع وجودها إلى ما قبل التاريخ، وكان لها الأثر البالغ على الفكر الإسلامي، كذلك كان لها صلات باليهودية والمسيحية، يقول تيمان إن العرب شعب مجبول على استعدادات قوية وثابة، ولقد كان أولاً صابئياً ثم استمد حماسه دينية وحربية من دين محمد (1) أقول على الرغم من هذا إلا أنها لم تحظ بتلك المكانة التي اخذتها ملل أخرى من اهتمام الباحثين، وقد يرجع ذلك إلى أسباب عدة، ترجع بعضها إلى الصابئين أنفسهم وبعضها الآخر إلى الظروف المحيطة والمؤرخين، وسوف نذكر بعضاً من هذه الأسباب.

1- اللغة التي دونت بها تعاليم الصابئة والتي تقام بها طقوسهم هذه واحدة من أهم الأسباب التي أدت إلى نسيان هذه الطائفة أو عدم الخوص في البحث فيها وذلك لأن اللغة الآرامية (وهي لغة كتبهم) لغة غير متداولة مما أدى إلى اقتصارها على جماعة محدودة من رجال الدين لأنهم وحدهم القادرون على فهم تلك الكتب، بينما ظلت تعاليم هذا الدين بالنسبة للآخرين بما فيهم أتباع الطائفة أنفسهم رهن السماع والملاحظة، وذلك لأنهم يجهلون الأبجدية التي كتبت بها كتبهم وهذا أدى بهم إلى أنهم عند إقامتهم لطقوسهم يكتفون بترديد ما يقوله رجال الدين دون فهم.

2- اعتبر رجال الدين أن ما علموه من أمور الدين هو أسرار لا يجب إفشاؤها أو الخوض فيها أو مناقشتها مع الآخرين وذلك لاعتقادهم بأن الأمور الدينية لا يجوز الخوض فيها أمام من لا يفهمها وحتى لا يفلت الأمر من أيديهم، ساعد ذلك على جهل أسرار الدين.

3- طريقة حفظ وتدوين الصابئة لمعتقداتهم الدينية، إذ إنهم دونوها في صورة كتب ولفائف محفوظة، كما دونوا بعضها منقوشة على صفائح الرصاص، وظلوا ينسخوها جيلاً بعد جيل،

لكن شاب عملية النسخ (على الرغم من الحذر والحيطه) الكثير من الأخطاء نتيجة عدم فهم دلالة النص، أدى ذلك إلى وصول هذه النصوص مشوشة.

4- العزلة التي فرضها الصابئون على أنفسهم وعدم مخالطتهم للآخرين، بل أكثر من ذلك أنهم لم يقوموا بالرد على معارضيتهم والتزموا الصمت، واعتقد أن السبب في ذلك يرجع إلى عدم قدرتهم على فهم ما تتطوي عليه نصوصهم وبالتالي لم يستطيعوا مواجهة الآخرين بدينهم الذي لم يفهموا أسرارهم.

5- أضف إلى ذلك الاضطهاد الذي تعرض له الصابئة في فترات من الزمان مما أوقع الأضرار بتلك المخطوطات، ولناخذ مثلاً نبيين من خلاله مدى الإحاطة بكتبهم والأضرار التي لحقت بهم فيقول الأب تروتوليان يوضح لنا كيف كان القضاء على كل ما هو مغاير للمسيحية فيقول: إن ما نحتاجه هو الإيمان وهو ما وفرته الأناجيل، فما قيمة الكتابات الأخرى.

كذلك نجد الكذب والافتراء من جانب بعض من أرخ لهم كسنكلا النصراني⁽²⁾، والذي اكتشف أبو الريحان البيروني كذبه.

مما تقدم يتبين لنا بعضاً من الصعوبات التي واجهت الباحثين في هذه الطائفة وكانت سبباً في إجماع الكثير منهم عن الخوض في هذه الطائفة، هذه الصعوبات نفسها وتلك الهالة من الأسرار المحيطة بهم كانت دافعا لى للبحث في الصابئة، ومحاولة كشف النقاب عن بعض من الأسرار التي أحيطت بأصولها ولغتها والتي كانت عاملاً مهماً في بناء هذه الأسرار، وأيضاً معرفة كتبهم، وما هي طبيعة تلك الكتب؟.

كذلك نحاول الأجابة على سؤال أظن أنه مهم وهو هل الصابئة طائفة واحدة أم عدة طوائف؟ لأن الأجابة على هذا السؤال سوف تفسر الكثير من تباين الآراء حول هذه الطائفة كذلك نتعرف هل هناك صلات بين الصابئة والأديان السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام، وهل كان لها أثر على فكر أصحاب تلك الأديان.

أصل الصابئة :

إذا استقرئنا ما قيل بشأن الصابئة، والاشتقاق لهذه اللفظة فسوف نجد اشتقاقات كثيرة، فيذهب البعض إلى أن كلمة (صابئ) آرمية، وجذرها في المندائية (وهي واحدة من لهجات الأرمية) (صبا) وتعنى يتعمد، وعملية التعميد تدعى (مصبا)، وتعنى كلمة (صبا) الارتماس في الماء والانغماس في حوض الصبغ، هذا ما أكده من قال إنها ترجع إلى الكلمة العبرية (ص. ب. غ) وتعنى الغطس، ثم أسقطت العين وهي إشارة إلى أهم شعائهم وهي شعيرة التعميد والغطس في الماء⁽³⁾.

ويذهب الشهرستاني إلى أن الصابئة في اللغة من صبا الرجل إذا مال وزاغ عن سنن الحق، والصبوة هو الانحلال عن قيد الرجال، ويقال صبا الرجل إذا عشق وهوى⁽⁴⁾، ويؤكد القرطبي ما ذهب إليه الشهرستاني فيفسر (الصابئين) على أنها جمع صابئ، وقيل صابٍ، ويقول: لذلك اختلفوا في همزه، فمن همزه جعله من صباً النجوم إذا طلعت، ومن لم يهزم جعله من صبا يصبو إذا مال، فالصابي في اللغة من خرج من دين إلى دين⁽⁵⁾.

والبعض الآخر ذهب إلى أن اسم الصابئة مأخوذ من السابحة، وسموا به لكثرة الاغتسال في شعائهم وملازمتهم شواطئ الأنهار، ومن ثم فالصابئة أقرب إلى السبح من نسبتها إلى السبادث العبرية التي تعنى جنود السماء التي هي الكواكب التي اشتهروا بعبادتها⁽⁶⁾، كذلك يقال إن الصابئة مشتقة من (صبا) وهي لفظة قديمة في اللغة السامية، ومصحفة عن (ضوا) التي قلبها العرب في اصطلاحهم إلى (ضياء)، فعبادة الصابئة اذن عبادة الضوئية أى الأجرام السماوية، ومثل ضياء صباً مما تقدم يتبين لنا أن الصابئة من اشتقاقاتها أنهم عبدة أجرام سماوية، وهنا يتبادر تساؤل هل هم أصحاب ديانة وأصحاب كتاب أم أنه ليس لهم كتاب؟

بادئ ذي بدء نقول إن التدين سمة مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى أشدها همجية فالإنسان، يتميز عن غيره من الكائنات بالعقل، فقد حباه الله بتلك الآلة التي بها يستطيع معرفة كل شئ فهو مناط التكليف، وعلى ذلك كان من الطبيعي أن يتفكر الإنسان منذ بدايته على الأرض فيما يسمى بالدين وقد اختلف علماء تاريخ الأديان في طبيعة الدين

الذى ساد العالم القديم وانتهو إلى رأيين:

أحدهما: أن الدين الذى ساد هو دين روحانى، أما **الرأى الثانى:** فيذهب أصحابه إلى أنه دين طبيعى وكان لأصحاب كل رأى حجته، فأصحاب الرأى الأول ذهبوا إلى أن آدم الذى هو أبو البشر كان على دين التوحيد فقد روى عن جماعة من السلف أنهم قالوا إنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على ملة الحق، وأن الكفر بالله حدث في القرن الذى بعث فيه نوح فأرسله الله عليهم بالإنذار والتوحيد⁽⁷⁾، فالديانات الروحية سابقة على الديانات الطبيعية، أما أصحاب الرأى الآخر فيرون أن الدين الطبيعى هو الأسبق وذلك لأن عبادة مظاهر الطبيعية لم تخل حضارة منها⁽⁸⁾.

ومن خلال هذين الرأيين يمكن القول بأنه نُظر إلى دين الصابئة النظرتين، فالبعض ذهب إلى أنهم عبدة الكواكب والنجوم، فقال الحسن وقتادة إنهم قوم يعبدون الملائكة يصلون إلى القبلة ويقروون الزبور ويصلون الخمس، والبعض الآخر ذهب إلى أنهم يدينون بدين نوح عليه السلام، وهناك من يقول إنهم قوم تركب دينهم بين اليهودية والمجوس لذلك لا تؤكل ذبائحهم⁽⁹⁾ ولا تنكح نساؤهم، وسئل ابن عباس عن الصابئين فقال هم قوم بين اليهود والنصاري والمجوس، وهناك من ينكر أن يكونوا من اليهود أو النصاري وهناك من يذهب إلى أنهم أهل دين من الأديان وكانوا بجزيرة الموصل يقولون لا إله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قول لا إله إلا الله وهذا ما أشار إليه عمر بن الخطاب⁽¹⁰⁾.

هكذا تبين لنا اختلاف الآراء حول دين الصابئة وما إذا كان دينهم طبيعياً أو روحانياً أم ليس بدين، أما عن رأى الصابئة أنفسهم فقد نسبوا دينهم إلى سيدنا نوح عليه السلام وإلى إبراهيم الخليل بالتلقي عن نوح وعن إدريس⁽¹¹⁾، ونجد منهم من ذهب أبعد من هذا حين نسبوا دينهم إلى صابئ بن شيث بن آدم⁽¹²⁾ ومعنى ذلك أنه دين توحيد، ومما تقدم يمكننا القول إن الصابئة ليسوا فرقة واحدة بل عدة فرق منها ما يدين بالتوحيد، ومنها ما يتجه إلى عبادة الكواكب التى بنوا لها الهياكل.

فرق الصابئة :-

1- الكاظمة وينتسبون إلى كاظم بن تارح أخو إبراهيم الخليل، ومن قوله إن الحق بين شريعة

إدريس وشريعة نوح وشريعة إبراهيم الخليل.

2- البيدانية وينتسبون إلى بيدان الأصغر وقوله باعتقاد نبوة من يفهم عالم الروح وأن البنية من الأسرار الإلهية.

3- القنطارية وينتسبون إلى قنطار بن ارفكشاد وأنهم يقرون بنبوة نوح عليه السلام.

4- الحرانية نسبة إلى بلدة حران المدينة التي بناها هاران أخو إبراهيم وهم يقولون المعبود واحد بالذات وكثير بالأشخاص في رأي العين وهو المدبرات السبع من الكواكب الأرضية الجزئية، والعالمة الفاضلة فإنه بها ويتشخص بأشخاصها ولا تبطل وحدته في ذاته، لكن حدثت حروب في زمن (أردوان ملكه) فتفرقت طوائف الصابئة إلى ستين فرقة، وتشتت ولم يبق منها إلا أربع عشرة طائفة وهي مندوى، صابور، ريش إدراز، كيان أهواره، عسيكر، كحيلي، عزيز كيناني دراجي، بهير، بنكاني، فريحي، وهذه الطوائف مذكورة في كتابي الكنزة الكبيرة وادرافشايها، أما باقي الفرق وهم أربعة لم يعثر عليها، وهذه الطوائف المذكورة موجودة إلى اليوم لكن أكثرها عدداً مندوى وصابور⁽¹³⁾.

مما تقدم يتبين لنا أن اسم الصابئة أطلق على فرق عدة ولم يكن خاصاً بطائفة بعينها، ويمكن أن ندرج هذه الفرق إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: هؤلاء هم الذين اتخذوا الملائكة وسائط بين الله وموجوداته، لأنه لا يجوز أن يكون الوسيط بين الله وعالم الموجودات بشر منغمس في عالم الرذائل والشهوات، بل لابد أن يكون الوسيط روحانياً واعتبروا هؤلاء الوسائط آلهة مدبرة للكواكب الفلكية لها تأثير على الموجودات الحسية وهذه الموجودات الروحانية لها هياكل، وأن نسبة الروحانيات إليها كنسبة النفس إلى البدن، وقال عنهم الأمدى في إيكار الأفكار أنهم زعموا أن أصل وجود العالم يتقدس عن سمات الحدث وهو أجل وأعلى من أن يتوصل إلى جلاله بالعبودية له والخدمة من السفليات وهي أمور روحانية مقدسة عن المواد الجرمانية وأنها آلهتنا ورسلنا إلى حاجاتنا وبهم نتقرب إلى الله وهي المدبرة للكواكب الفلكية، بل يرجع إليها الفضل في إيجاد الموجودات.

القسم الثاني: أصحاب الهياكل، وقد خص المسعودي الصابئة الحرانية بالهياكل،

فقال إذا كان لابد من متوسط فلا بد ان يكون مرثياً، والروحانيات ليست كذلك، فلا بد للتقرب إليها من خلال هياكل في آلهة وأرباب معبوده والله تعالى رب الأرباب، وإليها يكون التقرب، فدعوا إلى عبادة الكواكب السبعة السيارة⁽¹⁴⁾.

القسم الثالث: وهم ما يطلق عليهم أصحاب الأشخاص وهؤلاء زعموا أنه إذا كان لابد من متوسط مرثي فالكواكب وإن كانت مرثية إلا أنها قد ترى في وقت وتخبو في وقت آخر، فدعت الحاجة إلى وجود أشخاص مشاهدة تكون وسيلة لتلك الهياكل التي هي بدورها وسيلة إلى الروحانيات التي هي وسيلة إلى الله تعالى فاتخذوا لذلك أصناما مصورة على صورة الهياكل السبعة⁽¹⁵⁾.

موطنهم:

ذكر أنهم ينسبون إلى الآرميين⁽¹⁶⁾ ويرجعوا إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وكانوا ينتشرون في الصحراء الواقعة غربي ما بين النهرين وأنهم كانوا في أول أمرهم قبائل رحل، ينتقلون في البادية كالعبريين وباقي الأمم السامية بين نجد في الجنوب وحدود الشام في الشمال ونهر الفرات في الشرق وخليج العقبة في الغرب، وقد استطاعوا أن يكونوا إمارة بين بابل والخليج العربي عاشت وازدهرت، وتعد هجرة الخليل من (أور) إلى حران واحدة من هذه الهجرات فسكنت الصابئة مدينة حران⁽¹⁷⁾ ويذهب ابن الأثير⁽¹⁸⁾ إلى أن بيوراسب أول من أظهر القول بمذهب الصابئين وتبعه بعد ذلك الذين أرسل اليهم نوح.

ومدينة حران كانوا يسمونها (حران سفلاني) أي حران السفلي وسميت (هاران) أخو إبراهيم لأنه أول من بناها فعربت فقيل حران، وذكر قوم أنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان، وهناك آيات في القرآن الكريم ذكرت مدينة حران (إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي) كذلك في قوله تعالى (وَتَجِيبَاهُ وُلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) ومن منازلهم قرية تابعة لحران تسمى (ترع عوز) والعينان مهملتان والواو ساكنه، ومعنى (ترع عوز) بلغة الصابئة باب الزهرة، وقد جرت حروب مع أهل حران ففروا إلى (طورمادى) فسكنوها ومن مساكنهم القديمة (طيب مائة) وقال البعض إنهم كانوا في مصر وقتلهم المصريون.

أما عن خروجهم من مصر فيقال إنهم خرجوا مع قوم فرعون وتعقبوا اليهود الفارين

مع موسى، وقد غرق عدد منهم في البحر، أما الناجون فسافروا شمالاً وسكنوا أعلى (فرات زبوا) أى الفرات النوراني، لكن اليهود بعد ذلك هاجموهم وقتلوا عدداً كبيراً حين كانوا يسكنوا القدس، وفروا إلى العراق فسكنوه حتى اليوم فنجدهم في ناصرية المنتفك والعمارة والبصرة وسوق الشيوخ وكرمة بنى سعيد والأهواز وناصرية العجم، وقليل منهم في بغداد⁽¹⁹⁾.

لغتهم :

وكما ذكرنا أن للصابئة لغة دينية وأبجدية خاصة بهم، تلك اللغة التي كانت بمثابة حجر عثرة أمام الباحثين فماذا عسى أن تكون هذه اللغة ؟

إن اللغة التي كان يكتب بها الصابئون ويتحدثون بها هي اللغة المندائية الأرمية، وهي لغة سامية قريبة من السريانية، ويعتقد المندائيون أنها اللغة التي تكلم بها آدم عليه السلام، كذلك عرفها المختارون من أبناء آدم وذريته الذين كانوا معلمين على مر العصور كيحيى بن زكريا⁽²⁰⁾، ويسمي هؤلاء الصابئة أنفسهم مندائين جمع مندائي، وهي منسوبة إلى كلمة (مندا) الأرمية والتي تعني المعرفة أو العلم، وجذرها (داد، ادا) بمعنى عرف أو علم.

وقد جاءت منها مفردات أخرى (مندا) علم أو معرفة أو إلهام، أو وحي أو كشف، ويطلق على كل فرد من أفراد الصابئة (مندالي أو مندائي) ويعنى العالم أو العارف بالدين الحق، (مندا أدهى) العلم الألهي أو المعرفة العليا، (مندى أو مندا) بيت العلم أو بيت العبادة أو المكان الذى تقام به الشعائر الدينية المندائية⁽²¹⁾، فالمندائية لغة العلم وهي اللغة التي هي وسيلة العلم والوصول إلى المقدس، وأصبح العلم مرادف اللغة مرادف المقدس، فلا علم ولا معرفة ولا طقوس إلا بتلك اللغة، هكذا تحول المندالي أو المندا إلى ما هو مقدس، ويمكننا القول من خلال نظرة الصابئة للغة أن نقول إنهم أصحاب فلسفة، لكن ما يؤخذ عليهم أن يصبح هذا العلم وهذه المعرفة مقصورة على الطبقة الكهنوتية دون غيرها حتى لا يتأثر نفوذهم وتكون حكراً عليهم لذلك كانوا حريصين على منع غيرهم من الإطلاع على الكتب المقدسة وكانوا يزعمون أن كشف الحقيقة يعرضها إلى إساءة فهمها والهزء بها، وهذا قد يجرحهم إلى التهلكة⁽²²⁾.

واللغة المندائية تتكون من أربعة وعشرين حرفاً منها حرفان مكرران هما (اد، آ)

ويرمز لهذه الحروف بأشكال وهذه الأبجدية تبدأ بحرف (آ) وتنتهي كذلك به⁽²³⁾، فالبدائية والنهاية واحدة فكل شئ لابد أن يرجع إلى أصله ومبدأه الأول.

كتبهم :-

كل دين أو عقيدة لابد وأن يلتزم متبعيه بكتاب يرسم لهم طقوسهم، ويعتقد كل واحد من هؤلاء أن كتابه منزل من مصدر علوى، هذا الاعتقاد لا يقتصر على أصحاب الديانات المنزلة فحسب، بل نجده أيضا في الأمم صاحبة الأديان الموضوعة والتي تستند فيما تؤمن به على الأساطير، بل إنها تُرجع هذه الأساطير إلى مصدر غيبي، هكذا نجد الأمم على اختلافها تعتقد أن كتبها لا تقبل الشك من قريب أو بعيد، وهذا ينطبق على الصابئة التي اعتقدت أن كتبهم هي صحف آدم المفقودة.

وعلى هذا نتساءل هل كتب الصابئة بالفعل كتب مقدسة أم كتب أدبية؟

اختلف الباحثون في تناولهم لهذه الكتب، فذهب البعض إلى القول بأن هذه المجموعة من الكتب هي كتب أدبية، والبعض الآخر يرى أنها كتب مقدسة، ونحن أميل إلى القول بأن كتبهم مقدسة، ومما يؤكد ذلك تصنيف هذه الكتب ومحتواها بالإضافة إلى أننا اعتمدنا في كتابه هذه الكتب على الأستاذ عبد الحميد أفندى بكر⁽²⁴⁾، والذي ذهب إلى أن هذه الكتب ليست متاحة لأى شخص، بل إنه ليس مصرحاً أن يطلع عليها أحد، على أية حال من خلال عرضنا لها سننبين ما إذا كانت هذه الكتب مقدسة أم أدبية،

يمكن تقسيم هذه الكتب إلى ست مجاميع(25):-

المجموعة الأولى : نصوص سرية خاصة بالكهنة (أعتقد أنها ما دامت خاصة بالكهنة فهي لا تعد أدبا هي كتب مقدسة لتلك الطائفة)، ويؤكد هذا القول أن ما تحويه هذه النصوص وهو ما يسمونه باللفائف تحوي على العقائد السرية الخاصة التي لا تُكشف إلا لرجال الدين، وبعضها لا يُكشف إلا لمن هو في الدرجات العُلى من السلك الكهنوتى، وهذه النصوص تقرأ عند تكريس رجال الدين، أو عندما يُعمد وفق شعائر خاصة حين يرتكب خطيئة ما.

المجموعة الثانية: عبارة عن كراريس تشرح كيفية أداء الطقوس الدينية، كشرح الطقوس التي تقام في الأيام الخمسة المقدسة والمعروفة عندهم بعيد البنجة، أيضا الشرح الذي يسمونه (شرح دنخرانا دلهدايا زدقا) أى شرح ذكرى الأوحد بعدله، ديوان (مصبنا دهيبيل زيوا) أى ديوان تعميد هيبيل زيوا، وفيه يصف تعميد الملاك الروحاني المسمى هيبيل زيوا (جبريل) بعد أن هبط على الأرض ليقمع تمرد قوى الظلام.

المجموعة الثالثة: وهى كتاب يعرف باسم نيانى أو انيايى⁽²⁶⁾ أو كتاب الصلوات القانونى وهو مكتوب بالسريانية، وهو عبارة عن الأناشيد والتراتيل والصلوات التي تُتلى في طقوس التعميد، كذلك الصلوات على أرواح الموتى.

المجموعة الرابعة : تضم هذه المجموعة النصوص التي تتحدث عن خلق الكون والإنسان والصراع بين قوى النور والظلام، ومن هذه الكتب كنزاريا أو سيده ربا وهى لفظتان سريانيتان وتعنيان الكنزه الكبيرة أو الكتاب العظيم ويعرف أيضا باسم (سيدرا آدم) أى صحف آدم، وهو كتاب منزل من (آلمى دنهوره) أى عالم الأنوار، ومن معانى (الكنزا) أى الحاوى وهذا الكتاب يحوى عقائد المندائية ويشمل قسمين يمينيه وشماله أى اليمن والشمال، ويبدأ القسم الأول بالتوحيد وصفات الخالق وما حلل وما حرم، وتحريم عبادة الكواكب، وخلق الكون بما فيه البشر والشيطان.

أما القسم الثانى أى الشمال فهو خاص بالأموات ويحتوى على ما يقرأ على الميت من سور وأدعية وشرح طقوس الدفن، وكيف تخرج النفس من الجسد، كذلك تشمل المجموعة الرابعة على كتاب (ادرفشه ديهيا) أو تعاليم يحيى، وفيه تراتيل تتحدث عن يحيى ونشأته وهجرة الناصورانيين من فلسطين إلى الفرات، كذلك كتاب (ديوان أباثر) وهو كتاب يصف رحلة النفس في صعودها إلى السماء بعد الوفاة ومرورها على نقاط الحساب.

المجموعة الخامسة: تمثل هذه المجموعة أهمية خاصة عندهم وذلك لأنها تتناول الفلك، منها كتاب (اسفر ملواشه) أى سفر البروج، وهذا الكتاب مكرس لمعرفة الطالع بالإضافة إلى احتوائه على نصوصا سحرية، وهى مقتبسة من مصادر يونانية وساسانية (فارسية) بالإضافة إلى العربية وهناك كتاب آخر يتناول تصورهم لما يجب أن يفعلوه في

ساعات النهار وهو كتاب (شبانى شايبى) أى ساعات النهار .

المجموعة السادسة: تتضمن هذه المجموعة الطلاسمة والأدعية والاسحار لطرد الأرواح الخبيثة واستجلاب عطف القوى الروحانية، كذلك كتاب (تفسير بغرة) أى تفسير الجسد ويحتوى هذا الكتاب على شرح كيفية تكوين جسد الإنسان وما يحويه من أسرار، كذلك المعنى المستتر للأطعمة التقليدية التى يتناولها أبناء الطائفة.

ترسو الف شيالة أى اثنا عشر ألف سؤال، ويتكون من خمسة أجزاء وضُع لحل مشاكل كل ما يصادفه الكاهن أو الصابى في حياته، وأيضاً لديهم كتاب تاريخي لاصله له بالدين يحكى عن هجرة الصابئة من فلسطين إلى العراق ويسمى (حران كوتيا) أو قعلة حران، وكتاب (قماها ذهفيل زيوا أو القماهي) أى عودة زيوا وهو عبارة عن درج كبير فيه أكثر من الف ومنتى سطر، وهو عبارة عن تغريعات يحملها متدينو الصابئة ويزعمون أن من يلبس هذا الحجاب لا يؤثر فيه سلاح نار أو سلاح بتار، وهذا الكتاب له قدسية خاصة عندهم، فلا يجب أن يمسه أحد لم يكن مندائياً متديناً خوفاً من أن يتتجس أو يفقد مفعوله.

مراتب رجال الدين :-

لكل دين من الأديان رجال قائمين عليه، يختلف نفوذ هؤلاء الرجال من دين لآخر ومن أمة لأخرى، فهناك رجال دين يتحكمون في كل شئون الحياة، بينما نجد على الطرف الأخر رجال دين ليس لهم مثل هذا التحكم، وتعد الصابئة واحدة من الطوائف الذين يتحكم فيهم رجال الدين أو الكهنة⁽²⁷⁾، فكان لرجال الكهنوت الكلمة النافذة في كل أمورهم ابتداءً من الولادة وانتهاءً بالموت مروراً بالتسمية والتعميد والزواج والصلاة والذبح كل ذلك لا يتم إلا على أيدي رجال الدين فهم يتدخلون في كل صغيرة وكبيرة في حياة الصابى.

وتأكيداً لما سبق من القول باحتكار طبقة معينة للدين أنه ليس من حق أى انسان داخل الطائفة أن يكون رجل دين، فلقد وضعوا شروطاً يجب أن تتوافر في من يختار ليصل هذا المنصب تتصل بسلامة الجسم ونقاء العائلة، فيكون صحيح الحواس وتتمتع عائلة بهذه النعم منذ سبعة أظهر، ولا تكون أمه ثيباً حينما تزوجها أبوه إلى سبعة أظهر، وإذا أصيب بعد تكريزه بالعمى أو العور أو أى شئ من هذا القبيل فيمنع من الأعمال الدينية ولا يجوز أن

يتزوج ثيبا أو مطلقة، ويحرم عليه كل أكل من غير صنع يده أو أهله ولا يشرب إلا من نهر أو ينبوع، وعليه أن يحفظ الوضوء والصلاة في أوقاتها ويحفظ كتاب (سيدرة ادنشماته) أى كتاب التعميد عن ظهر قلب، وذلك لأن التعميد أساسى في عمله وشعيرة من أهم الشعائر كذلك لا يجوز أن يتعرض لأى خطيئة دينية أو أخلاقية، وكل درجة كهنوتية لها تعميدها الخاص بها والذي يختلف عن سابقتها، هذه شروط عامة، وهناك شروط خاصة لكل درجة.

1- الحلالى: أو ما يسميه العامة الشماس، وهو شخص انحدر من صلب عائلة (حلالية)، دراسته الدينية أولية بسيطة تتناسب مع الوظيفة التى يقوم بها، فدراسته تشمل بعض كتب الدين الأولية فهو يسير في الجنازة وإقامة سنن الذبح، وعمله متمم للكاهن، وبدونه تتوقف أعمال الكهنوت عدا الصلاة والوضوء، وعند قيامه بالطقوس يلبس الرسته⁽²⁸⁾، أما الذى ينعقد عمله ويخرجه من رتبة الدينية فهو أن يتزوج ثيبا فهنا يُمنع من ممارسة وظائفه هو وأولاده وأحفاده إلى ثلاثة أظهر إلا إذا تعمد هو وزوجته 360 مرة فيحق له ممارسة أعماله السابقة، وهذا يوضح أهمية شعيرة التعميد.

2- الترميده أو الأبيق، وهى وظيفة كهنوتية أعلى من الأولى، فالحلالى يأخذ درجة الترميده إذا فقه كتابين مقدسين هما (سدرا دنشمانا - أنيانى) أى كتابى النفوس والأذكار، وبعد أن يجري المرسوم الخاص لهذا التدرج وذلك بأن يتطرس بالارتماس في الماء المتصل بيئر نابعه عند المندى⁽²⁹⁾، ويبني له عرشا من القصب النظيف ويقال له المجلس، ويحضره طبقة من رجال الدين من درجة مماثلة للدرجة التى يريد الترقى إليها، كذلك يحضره رجال من الدرجة الأعلى له وهى (كنزيرا) فيمكث معهم سبعة أيام كاملة لا تغمض له عين خشية أن يتطرق إليه الشيطان فيحتلم ويفسد عليه عمله، لأن الأحتلام عندهم دليل على عدم كفاءة الرجل الحلالى إلى درجة الترميده.

3- الكنزيرا: ويسميه العامة القس ومعناها صاحب الحق في تفسير الكتاب المقدس (الكنزا الكبير)، وهذا لا يكون إلا في عيد البنجة، والكنزيرا هو وكيل الرئيس الآلهي على الطائفة، وهذه الدرجة الكهنوتية قليلة إذ لا يتجاوز أصحابها عدد الأصابع، ويشترط على الترميده الذى يريد أن يرتقى إلى درجة الكنزيرا أن يكون مطلعاً على كثير من التفاسير والشروح الدينية، أى لابد أن يكون له معرفة دينية أكثر من الدرجات الأقل منه، ولابد أن يكون ليس فقط مفسراً

لكتاب الكنز بل حافظاً له، ولا بد أن يكون متزوجاً وله ذرية وإلا لا يصح أن يصبح كنزيراً، وله تعميماً خاصاً، فيقام له عريش من القصب والطين وسعف النخيل على مقربة من بئر متصلة بماء جار عند المندى تيطرس فيها بمشهد من رجلين من الترميده ومن رجلين من الكنزيراً.

4- الارشمة (ريش امه) وهى كلمة تعنى رئيس الأمة، وصاحب الكلمة النافذة فيها وليس بين الصابئة من بلغ هذه الرتبة، وذلك لأن مراسيم ترسيمه تتطلب عدداً من الأشخاص من درجة الكنزيراً ودرجة أرشمة وقلما يتوافر هذا العدد.

5- الرباني، أيضاً لا يوجد من يأخذ هذه المكانة، وتقول الصابئة إنه لم ينل هذه الدرجة إلا يحي بن زكريا كما أنه لا يجوز وجود شخصين من هذه الدرجة في وقت واحد، وتتطلب هذه الدرجة عدداً من الأشخاص لحضور تعميده، وإذا ارتقي إلى هذه الدرجة يرتفع إلى عالم الأنوار ليسكن فيه، فإذا اقتضى تبليغ الطائفة بعض الشرائع نزل إلى الأرض إذا رسالته ثم يعود إلى عالمة النوراني⁽³⁰⁾.

معتقداتهم:

سيق أن أشرنا إلى أن لفظه الصابئة وأنهاء اطلقت على فرق متعددة هذا ما أكده أبو يوسف ايشع القطيعى النصراني في كتابه (الكشف عن مذاهب الحرانين المعروفين في عصرنا بالصابئة) فيذكر عنه ابن النديم رواية يكشف من خلالها أن لفظه صابئة اطلقت على طائفة لم يكونوا كذلك وإنما انتحلوا هذا اللقب (الصابئة) للتقية خوفاً من الخليفة المأمون، وتحكى الرواية أن المأمون اجتاز ديار مضر وهو في طريقه لبلاد الروم للغزو وهناك قابله جماعة من الناس خرجوا لمقابلته والدعاء له ومن بينهم جماعة من الحرانين يلبسون الأقبية وشعورهم طويلة، فأنكر المأمون زيهم وسألهم من أنتم من الذمة؟ فقالوا: نحن الحرانية، فقال لهم: نصاري أنتم؟ قالوا: لا، قال فيهود؟ قالوا: لا، قال فمجوس قالوا: لا، قال لهم أفلكم كتاب أم نبي؟ فجمعوا في القول، فقال لهم، فأنتم إذا الزنادقة عبدة الأوثان وأنتم حلال دماؤكم لازمة لكم فقالوا: نحن نؤدي الجزية، فقال لهم: إنما تؤخذ الجزية ممن خالف الإسلام من أهل الأديان الذين ذكرهم الله فاختاروا الآن أحد أمرين إما أن تدخلوا دين الإسلام أو ديننا من الأديان التي ذكرها الله في كتابه وإلا قتلتم، وأنزهرهم حتى يرجع من سفرتهم،

وعندما رحل المأمون غيروا زيهم وأسلم منهم طائفة وتتصر الكثير وبقي منهم شردمة على حالهم، فقال لهم شيخهم قد وجدت لكم شيئاً تتجون به من القتل وقال لهم إذا رجع المأمون قولوا له نحن الصابئون ، فانتحلوا هذا الاسم منذ ذلك الوقت (31) وتبعاً لهذه الرواية فالصابئة الحرائية ليسوا هم الصابئة الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم وعدهم ضمن أهل الكتاب، بل هم متحلون لهذا اللقب؛ بغية النجاة من القتل، لكننا نجد في موضع آخر من فهرست ابن النديم يبين فيه نوعاً من الصابئة سماهم بالبطائح المغتسلة واعتبرهم هم الصابئة الحقيقيون الذي أشار إليهم القرآن الكريم.

ومن خلال ما تقدم يمكن القول بأن هناك نوعين من الصابئة، صابئة موحدة وهم المندائية، وصابئة ليسوا موحدين منهم الحرائية وهم عبدة الهياكل، ومنهم الهنود عبدة الأصنام، كذلك صابئة الرومان واليونان وغيرهم، لكن على أية حال هناك عقائد مشتركة بين هؤلاء جميعاً، فهم متفقون على وجوب ثلاث صلوات والاغتسال، وتحريم لحم الخنزير والكلب والجزور، وماله مخالف من الطير، والسكر، وأمرؤا بالنكاح بولى وشهود، ونهوا الجمع بين امرأتين وغير ذلك (32).

وسوف نركز في بحثنا هذا على الصابئة الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم وعدهم من أهل الكتاب وهم ما يطلق عليهم الصابئة المندائية، كذلك نفرق بين عقائدهم وعقائد الصابئة الحرائية الذين كثيراً ما يحدث خلط بينهم وبين المندائية، وسيتضح ذلك في كثير من العقائد التي آمنوا بها.

عقائد المندائية :

على الرغم من اننا نستطيع أن نتلمس من خلال الكتب المقدسة عند المندائية عقائد أساسية أهمها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر إلا ان هذه القواعد الأساسية وإن اتفقت مع الإسلام في الألفاظ إلا أنها تختلف كثيراً في المضمون.

1- الإيمان بالله: يعتقد الصابئة بأن الله عز وجل علة الكائنات، فذهبوا في وصفه تعالى مذهباً نجده عند المعتزلة فيصفوا الله بصفات السلب لا الإيجاب وكما قال عنهم البيروني إنهم موحدون ويسمونه بالأسماء الحسنى مجازاً، إذ ليس عندهم صفة بالحقيقة فليس بمحدث

ولا موات ولا جاهل ولا عاجز، وقالوا ذلك لئلا يقع تشبيهه فهو حي بنفسه أزلى أبدي لا تدركه الابصار ولا تتاله الحواس منزه عن الهيولي لا يظلم ولا يجور⁽³³⁾.

هل يمكن من خلال هذا الوصف أن نقول انهم موحدون ؟

الحقيقة أن الصابئة المندائية كانوا يؤمنون بالله الواحد هذا ما أكده عليه القرآن الكريم، وذكر هذا في أكثر من آية من آياته الكريمة، كذلك نظر إليهم الرسول (ص) على أنهم معتقدون في الله فإله عندهم صانعا للعالم حكيماً مقدساً عن سمات الحدثنان⁽³⁴⁾، فهو علة الكائنات.

يذكر الصابئة في كتاب (الكنز الربا) أن الله ملك الأنوار السامي، رب الحق ذو الحول الشامل الذي لا شبيه له، النور النقي الذي لم ير، ولم يسمع، الغفور التواب الرحمن الرحيم العالم بكل شيء لا شريك له بسلطان رب الخير، المنقذ لكل مؤمن، العزيز العليم، المتسلط على كل رغبة لا شريك له في سلطانه⁽³⁵⁾.

2- الإيمان بالملائكة أو الروحانيات: إذا كانت الصابئة تعتقد بالله الواحد، فإن هذه الوجدانية التي آمنوا بها لم تكن خالصة، بل كل يشوبها نوع من الشرك، فقد جعلوا آلهة مع الله وهي الملائكة (ويرتبط عندهم القول في الملائكة برأيهم في النبوة وسيوضح من خلال البحث) فترى الصابئة أننا يجب أن نتقرب إلى الله بالمتوسطات المقربين لديه؛ وهم الروحانيون المطهرون المقدسون فهم أربابنا وآلهتنا ووسائلنا وشفعاؤنا عند الله وهو رب الأرباب وإله الآلهة⁽³⁶⁾.

هكذا نجد قمة التناقض، التوحيد الخالص في العقيدة الأولي وهي الإيمان بالله الواحد ثم الحديث عن روحانيات وعددها ثلثمائة وستون شخصاً، لكن ما طبيعتهم؟ إنهم ليسوا آلهة وليسوا بشراً، ولا هم ملائكة، بل هم صنف بين البشر والملائكة ذلك لأن منهم من يباشر أعمال الخلق ويعلمون الغيب⁽³⁷⁾، ولهم تأثير واضح في إيجاد الموجودات.

3- الإيمان بالكتب: يعتقد الصابئة بأن كتبهم مقدسة، وهي كتب توارثوها بصورتها الأولي المأخوذة من آدم، وكان لديهم اعتقاد راسخ بأن لهذه الكتب أثراً عظيماً على كل من يحتفظ

بها ويقتنيها في بيته، فهي تحفظه من الشرور في الدنيا وتجيئه في الآخرة.

4- الإيمان بالرسول: هذه العقيدة تتعلق بالنبوة، فهل كانت الصابئة تؤمن بالنبوة؟

إذا كنا نقصد بالنبوي هو ذلك البشر الذي اصطفاه الله من خلقه ليبلغ رسالته، ويكون مؤيداً بوحى ومعجزة ويكون معصوماً، فالنبوة لا تأتى بالاكتساب، بل هى هبة من الله تعالى، هذا المعنى للنبوة غير معترف به عند الصابئة، فهم ينكرون النبوة البشرية هذا ما أكده الشهرستاني في أقوالهم لأنهم يرون أن الأنبياء مثلنا في النوع والشكل والصورة يشاركوننا في المادة، فمن أين لنا طاعتهم، وبأية مزية لهم لزم متابعتهم.

(وَلَيْئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ لَأَخْسِرُونَ)، لذلك كان لابد من متوسط بيننا وبين الله، فالإنسان لا يخلو من قوتي الشهوة والغضب، وهما ينزعان إلى البهيمية والغضبية، وينازعان النفس الانسانية، فكيف يماثل من هذه صفته نوع الملائكة المطهرين عنهما⁽³⁸⁾، وعلى هذا فقد رفضت الصابئة أن يكون الوسيط بين الله والإنسان بشراً فإله لا يخاطب أحداً من البشر، وإنما خلق الروحانيات ثم تلبست هذه الروحانيات الكواكب النورانية⁽³⁹⁾.

لكن ما موقفهم من الأنبياء المنصوص عليهم؟

كما سبق أن ذكرنا أن النبوة بالمعنى الإسلامى لم يعترف بها الصابئون ، والأنبياء في نظرهم معلمون معرفيون طهروا أنفسهم حتى توصلوا بنوع من الكشف أو الفيض إلى المعارف العليا، بيد أن هناك بعضاً من الصابئة يذكر بعض الأنبياء ويعترف بهم كشيث وإدريس وإبراهيم⁽⁴⁰⁾ ويحيى المغتسل، ويحسبونهم تارة من الأنبياء وتارة من عباد الله الخالص الذين وصلوا بالرياضة والعبادة إلى مقام الزلفى والإلهام وقد عرفوا محمد (ع) وقرأوا أوصافه في كتبهم لكنهم لا يسمونه نبياً بل يطلقون عليه ملك العرب أو (شيهو لدايو) أى تالي الأنبياء ويقولون عنه إنه سيأتى في زمن ملك الفرس ازدجر وستقع في زمن هذا حروب كثيرة وملك العرب يولد في زمنه، وهم يعتقدون أن شريعة محمد (ع) جاءت متممة للشرائع، ولم تكن شريعة ناقصة وأن دينه دين حنيف⁽⁴¹⁾.

5- اليوم الآخر:

يرتبط هذا الاعتقاد عند الصابئة كما هو عند غيرهم من أصحاب الديانات بمسألة غاية في الأهمية وهي خلود النفس فمن يؤمن باليوم الآخر كان لزاماً عليه أن يؤمن بخلود النفس، وعلى هذا نجد الصابئة يعتقدون بأن النفس التي يسمونها (نيشمتة) خالدة وهي التي تحاسب لأنها هبة الله للإنسان، والإنسان عند الصابئة يتكون من ثلاثة أجزاء :

1- النفس التي هي شرارة مقدسة وهبة الله للإنسان. 2- الجسم وهو الذي استقرت فيه هذه النفس وهو مادي. 3- الروح وهي مجموعة الرغبات .

والجسد والروح هما من العالم المادي، بينما النفس هي الجوهر المقدس، وهي سجيئة الجزأين الأخيرين، وتظل سجيئة الجسد الإنساني ما لم يبادر الله بإرسال من يعيدها إلى عالمها ويخلصها، فالنفس هي التي تحاسب أما الروح فهي مجموعة الغرائز والخلايا الحية والعادات المختلفة التي تدفع الإنسان إلى المخالفة والفساد والشر⁽⁴²⁾، وإذا كانت نفس الإنسان هي منحة من الله فلا بد إن تعود إلى باريها وتتحد به في حياة خالدة، والصلاة التي تقام على الميت تعد دليلاً على اعتقادهم بخلود النفس في العالم الآخر.

كيف تحاسب النفس وما هي تلك الرحلة التي تقطعها لتصل إلى مقر الحساب؟

حديث الصابئة عن تلك الرحلة أشبه بالأسطورة التي حكاها أفلاطون في رحلة النفس في محاوره فايدروس وهي رحلة النفس بالعربة المجنحة وكيف أن النفس الفاسدة الشريرة تسقط، وتحكي الصابئة أن النفس تذهب إلى المتروثات وهناك طريقان لها :

1- طريق تسلكه النفس الطاهرة. 2- طريق آخر للنفس غير الطاهرة

فالنفس تقطع الطريقين في سبعين يوماً، فإذا كانت غير مثقلة بالذنوب قطعت هذه المسافة وحدها بغير مساعد، وإلا فيقودها اثنان من جلاوزة الحميم، فإذا بلغت المتروثات اجتازتها حتى تقف امام (أواثر) فيدينها، فإن وجدها بريئة أرسلها مصحوبة بأمر منه إلى شاطئ (نهرود كشوشو) فيعبر بها إلى مقام السعداء فتتمتع بالنعيم الخالد، أما إذا كانت مدنسة بالمعاص أرسلها إلى (فتاحيل) يحدد لها نوع العذاب ومدته، فيختلف باختلاف أنواع الجرم، لكنه لا يكون خالداً في عذابه، هذا لا يمنع من أن هناك أنواعاً من المعاصي يظل مرتكبها في عذاب وألم من هؤلاء من قتل نفساً، أو كان سبباً في قتل نفس أو كان سبباً في

خروج أحد الصابئة عن دينة إلى دين آخر، أوزنى ب بكر، فهؤلاء عذابهم مؤبد أما باقي أنواع العذاب فيختلف لكنه في النهاية غير خالد في هذا العذاب⁽⁴³⁾، وهذا يذكرنا بعذاب المسلم فالمسلم لا يخلد في النار، بل بعد أن يعذب يدخل الجنة، فكل من قال لا إله إلا الله دخل الجنة.

هكذا أمن الصابئة باليوم الآخر والحساب وإن الأبرار يذهبون بعد الموت إلى عالم الأنوار، وإن المذنبين يذهبون إلى عالم الظلام ويلبثون فيه زمنا على حسب ذنوبهم ثم ينتقلون منه إلى عالم النور⁽⁴⁴⁾.

إذا كان هذا هو حساب الصابي، إلا أننا نجد أمماً وأقواماً ليسوا صابئة أو على دين الصابئة فكيف يكون حسابهم من وجهة نظر المندائية؟!

ترى الصابئة أن كل البشر سيحاسبون إذا كان صابياً أو ليس كذلك، فغير الصابي إذا عاش في الدنيا عيشة صالحة ذهبت نفسه إلى (شخينوتون) وهو موضع من (عولمي دلخشوخو) حيث لا يقاس شيئاً من العذاب كذلك لا يكون له شيء من السعادة، فغير الصابي حتى لو كان من الصالحين لا يتمتع بالنعيم، أما إذا كان شريراً فإنه يُهلك ويكون طعاماً (لأور).

6- الإيمان بالقدر: هذه القضية ترتبط ارتباط وثيقاً بمسألة حرية الإنسان، وهل للإنسان إرادة حرة أم أنه مسير وكل شيء مكتوب عليه ومقدر له وإن القدر حتمي؟

اختلفت الآراء حول هذه المسألة، فهناك من يذهب إلى أن كل شيء يرجع إلى الله وأن الإنسان ما هو إلا آلة تنفذ ما كتب عليه فلا حول له ولا قوة، وهؤلاء هم الجبرية، هناك من ذهب إلى أن الخير من الله والشر من الإنسان، وللإنسان حرية كاملة في أن يفعل أو لا يفعل، أما الرأي الأخير فيرى أن فعل الخير أو الشر يرجع إلى الإنسان وأن الله مُكون الأشياء والعبد يملك أن يختار بينهما وهذا هو موقف الصابئة فترى أن الخير والشر موجودان من قبل الإنسان، وينسبان له وإرادة الإنسان الحرة هي التي تجعله مسئولاً عن أفعاله، فالله رسم للإنسان طريق الخير والشر وعليه أن يختار بينهما⁽⁴⁵⁾.

شعائرهـم :-

سوف نعرض لبعض من الشعائر إلى تمسك بها الصابئة واهمها :-

التعميد : يُعد التعميد شعيرة من أهم الشعائر عند الصابئة، فالتعميد رمزاً للطهر والنقاء من هنا كانت أهمية الماء وقد سيته عند الصابئة، فهم يعتقدون بأن من يتعمد يدخل الماء أسود ليخرج منه أبيض فيدخله غير طاهر ليخرج منه طاهراً⁽⁴⁶⁾، من هنا كان للفظـة التعميد معنى مزدوج تعنى الانغمار في الماء كذلك الخروج منه متبدلاً، لذلك نجد العامة يطلقون على التعميد لفظـة صباغة، فصيح بمعنى تعمد.

هذه الشعيرة إذاً هي الأساس الذي يعتمد عليه الصابي في شتى مناحي حياته، فهو لا يعتمد عليها في المناحي الدينية فحسب بل في حياته اليومية، فهناك تعميد للأطفال بعد ولادتهم، تعميد الأم بعد الولادة، تعميد الزوجين قبل الزواج، تعميد الزوجين بعد أسبوع من الزواج، تعميد من أراد أن يكسب أجراً أو يتوب من خطيئة، تعميد عالم الدين على يد غيره من علماء الدين في كل مناسبة، تعميد الصابئين في الأعياد كذلك لاصلاة إلا بنوع من التعميد وهو ما يطلقوا عليه اسم (الرشامة) أى الوضوء، وإذا أراد الصابي الاغتسال بماء الحمام لأنه نجس، وإذا خرج من النهر جلس على ضفة النهر ليتوضا ويقراً قرأة تسمى رخصة (نية) ويقول فيها: السلام عليك أيها الماء الجاري من تحت عرش الرب الذي يحيي بك كل ما في الأرض، ثم يغسل يديه ويقول غسلنا أيدينا المفتوحة بالإيمان متكلمين بكلام صحيح منور، وقلوب مطمئنة بعنصر الأنوار، ثم يغسل وجهه ويقول: تبارك اسمك وسبحان اسمك ربي الحي مجرى هذا ومكونه من نفسك ولم يعلم به أحد، ثم يمسح جبهته بالماء بأن يجمع أصابع يده اليمنى الخمسة ويمرّها على جبهته من مبدأ صدغه الأيمن منتهيا به عند صدغه الأيسر مرة واحدة ويقول: رسمت برسم الحياة، ثم يدخل سبباته في أذنيه ويقول ثلاث مرات اسمع صوت الحياة، ثم يستنشق ويقول أشم رائحة الحياة، ثم يتمضمض ويقول من المملوئين تسبيحا بالحياة، ثم يأخذ قليلاً من الماء برؤوس أصابعه العشرة ويضعها على ركبتيه ثم ساقيه ويقول ركبتي الساجدة إلى الرب الحي ثم ساقيه ويقول رجلي ماشية لشريعة العهد والإيمان، وبعد أن ينتهى من الوضوء يقول: إني لست من عبدة النار ولا من المختنتين ولا من المسيحيين، أمسح رسمى بماء الحياة الجاري في النهر من عالم الأنوار، ثم يرش

الماء بأن يدفع الماء برأس سبابته إلى الأمام ويرجعه إليه برأسيهما ثلاثاً ثم يقول إلى فلان ابن فلان أتعمد تعميد بهرام ربي الملك الصالح من الملائكة الصالحين تعمدي وانظري واصعدني إلى الرأس، ثم يغسل رجليه ويقول رجلي أيديهم السبعة والاثني عشر لا يتسلطون عليّ، فعندئذ يتم وضوءه ويتوجه في أحواله كلها إلى الجدى⁽⁴⁷⁾.

الصلاة : يسبقها الأذان وهم لا يؤذنون في مكان عال، وإنما يؤذنون بينهم بصوت خفي وبعبارات سريانية، وهي قوموا مخلصين مصدقين مؤمنين، اسجدوا وسبحوا الرب الحي وسبحوا الملك شيشلام ربه، والشجرة الخفية، وسبحوا النخلة التي منها الأب الآثري الذي أنشأه رب العالمين أن نسجد له ونسبحه، وكذا الشخص الملك العالی النوراني الشفيع المملوء رحمة.

وتقول الصابئة إن الله كان قد فرض على آدم سبع صلوات في الليل والنهار، خمسة منها تصلي في أوقات صلاة المسلمين، واثنان منها في غير هذه الأوقات، ثم قصرها يحيي إلى ثلاث صلوات الأولى صلاة الصبح ووقتها عند طلوع الفجر وهي سبع ركعات، والثانية وقت الظهر، والثالثة عند الغروب، وكل وقت خمس ركعات، وتقتصر هيئة الصلاة على الوقوف والركوع والجلوس على الأرض دون سجود، وتستغرق تلاوة الأذكار ساعة وربع ساعة تقريبا، ويتوجه المصلي إلى الجدى.

الصوم: لم تخل شريعة من الشرائع من عبادة الصوم، فالصوم عبادة عرفها الإنسان منذ القدم وأيدها الإسلام، لكننا نجد في بعض كتابات الصابئة تحريماً للصوم، لكن في بعضها الآخر نجد إقراراً للصوم فما هي حقيقة ما تنص عليهم كتاباتهم، تحليل صوم أم تحريم؟

الحقيقة أن الصابئة تذهب إلى تحريم الصوم في شريعتها، وأنهم يقولون بحرمة منع التلذذ بالمأكولات والمشروبات لأن هذا من باب تحريم ما أحله الله، أما الصوم الذي يقرونه فهو نوعان صوم أكبر وصوم أصغر.

الصوم الأكبر: فهو الكف عن الأذى حيث ورد في التعليم الديني صوموا صوم الأكبر لا عن مآكل ومشارب هذه الدنيا.

امسكوا اعيانكم عن الغمذ ولا تنظروا بسوء ولا تفعلوه.

امسكوا افواهكم عن قول الكذب والزيف والتأويل وابتعدوا عن الأباطيل.

امسكوا ضمائرکم عن ظنون السوء والبغض والفرقة.

امسكوا أجسادكم عن معاشره أزواج الآخرين.

امسكوا أرجلكم عن السعى في السوء⁽⁴⁸⁾.

هكذا كان الصوم الأكبر عندهم هو التحلي بمكارم الأخلاق، وقد أقر القرآن الكريم أنواعا من الصوم عند الأمم ومن أمثلة ذلك الصوم الذي نذرته السيدة مريم (إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) أي صوم عن الكلام.

أما الصوم الأصغر: فهو الامتناع عن تناول اللحوم فقط، وذلك في أيام معينة من السنة يبلغ مجموعها ثلاثة وثلاثين يوما وهي عادة تسبق الأعياد الدينية أو تلحقها⁽⁴⁹⁾.

النحر: لا يمكن لأي شخص من الصابئة أن يقوم بهذه الشعيرة، بل المخول له القيام بها العالم بدرجة حلالى، فيأتى بالذبيحة إلى ضفة الشط ويخرج طينا من النهر ويضعه عند ضفة النهر ويغسل الذبيحة بالماء بعد أن يغمسها في الشط ثلاث مرات وينبجها متوجها إلى البر وتتجس الذبيحة إذا مسها أى شئ حتى لو ألقى عليها حجراً أو عوداً.

الموت: إذا استحضر المريض يُغسل ويكفن وهو في حالة النزح، ولا يمس وهو ميت ومن لمسه لا يطهر ولو اغتسل بجميع مياه البحار أو تعمد ألف مرة، ويحمله أربعة أشخاص إلى القبر من درجة حلالى أو غيره، ثم يحضر إلى القبر ويحرمون البكاء على الميت⁽⁵⁰⁾.

المحرمات عند الصابئة :

تعد الصابئة من الطوائف التى أرهقت نفسها وعانت الكثير من الصعوبات والمحرمات التى فرضها عليها دينها، وهناك قائمة مطولة تحوى المحرمات التى نص عليها الدين المندائى، وسوف نعرض بعضها من هذه المحرمات فمنها:

يحرم أكل كل حيوان ذى ذنب، ويحرم أكل النعاج، ويحرم السكر، ويحرم شرب الخمر حتى لو قليل منها، ويحرم عليهم الحزن⁽⁵¹⁾، كذلك يحرم التزوج ببنت الأخت وبزوجة الأخ المتوفي لأن النكاح لا ينقطع عندهم بالموت، لذلك تبقى زوجته حتى وفاتها وأنها تذهب معه أينما ذهب بعد الممات، ويحرم جماع الحائض والنفساء، ويحرم على الجنب أن يمسه شيئاً أو يأكل، وكل ما يمسه ينجس فيجب غسله ويحرم على النساء أن يمسن شيئاً وهن حائضات، ويحرم الزنى واللواط، والنظر إلى النساء والسرقه والكذب والربا، كذلك يحرم حلق الذقن والختان وعلتهم في ذلك أن الله لم يخلق زائداً في البدن ليزال ويقطع، ويحرم على علمائهم أكل كل ما يجلب من الأسواق غُسل أم لا، ويحرم عليهم أكل ما طبخ من عمل غير المرأة التي اعتمدوا عليها بالقراءة والتعميد، ويحرم القتل والقتال إلا في الدفاع عن العرض والوطن والنفس، ويحرم الاشتغال يوم الأحاد من كل أسبوع والأعياد، وتحرم العزوبة⁽⁵²⁾ ويجوز للرجل تزوج ما شاء من النساء ولا يتزوج إلا امرأة صابئة على دينه فإذا تزوج غير صابئة أو تزوجت غير صابي⁽⁵³⁾ خرجا من الدين ولا تقبل منهما توبة.

صفات الصابي :

الدين الصابي يدعو إلى المحبة والتراحم والاحترام بين الناس كذلك يدعو إلى التعفف عن المحرمات حتى يكون الإنسان أهلاً لإدراك الكمال الأعظم، وعلى ذلك فالصابي يجب أن يتحمل بفضائل النفس الأربع وهى العفة وتجنب الرذائل الجزئية وهى أصدقاء الفضائل أى الأعمال السيئة، والصابي يتخذ من رجل الدين القدوة له ويتميز رجل الدين بالصلاح والزهد، وهو لا يرفع صوته في التكلم، ولا يشير بيده ولا يتحرك وهو يتكلم، ولا يغضب ولا يقابل شتمته بمثلها بل إذا شتم أو ضرب فعليه أن يذهب إلى خصمه ويصالحه مهما كانت منزلته وهذا يذكرنا بما جاء في المسيحية من القول بأنه إذا لطمك أخوك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر، كذلك يتميز بالكرم وكثرة الصدقات لأنها فرضت عليهم، وإذا حضر أحدهم مجتمعاً أخذ آخر المجلس ولا يرتفع عنه كذلك هم ملازمون للطهارة وهذا يتفق وشعيه التعميد.

مكانة المرأة:

وللمرأة شأن عظيم في ظل الديانة المندائية، فقد أعطتها هذه الديانة من

الحقوق ما لم نجده إلا في الدين الاسلامي فللمرأة في ظل هذا الدين حق حرية التملك والوراثة، بل لها الحق في أن تشغل أعلى وأخطر المناصب، فمن حقها شغل وظيفة رجل الدين، كذلك من إعلاء هذا الدين بشأن المرأة أن الابن فيها لا يسجل اسمه (دينياً) إلا باسمها، ولا يذكر اسم الزوج إلا مقروناً باسم الزوجة، بل إن اسمها يسبق اسمه، وحفاظاً على المرأة وحرمتها، فحرم عليها الرقص واللعب والموسيقى وإن كانت تمارس مثل هذه الهوايات في بيوتهن وفي المناسبات.

مما سبق يتبين لنا أن الصابئة المندائية أصحاب عقيدة حاولوا بكل ما أوتوا من قوة التمسك بها والحفاظ عليها لكن هل يمكن أن نستمد من خلال أفكارهم فلسفة؟

الحقيقة أننا إذا أعنا النظر في الكثير من معتقداتهم وأفكارهم نستطيع أن نتكتشف فلسفة كان لها أثر فيمن جاء بعدهم لا سيما في نظرتهم للعالم ونظرية المعرفة عندهم وغير ذلك مما يمكن أن نطلق عليه فلسفة.

المندائية والغنوصية:

في البداية أود أن أشير إلى أن المندائية تعد طائفة غنوصية⁽⁵⁴⁾، يظهر هذا واضحاً في كتاباتهم الرمزية وفي طابع السرية الذي كان يسود تعاليمهم الدينية مما قريهم من أصحاب الاتجاهات السرية الموجودة عبر تاريخ الفكر البشري كذلك تظهر هذه النزعة في نظرتهم للحروف، كذلك في كتاباتهم الرمزية، فهم يروا أن لكل ظاهر باطنا، والظاهر هو الزائف كذلك تتضح هذه النظرة في موقفهم من النبوة وعلى الأخص من إبراهيم الخليل، إذ يعتبرونه مدعى للنبوة جاء ليبطل الشرائع القديمة التي قبله بشريعته ويدعو الناس إليها جبراً وديانته ليست صحيحة كذلك داود وسليمان، فسليمان يطغي في نعمته فتسلب منه، كذلك موقفهم من عيسى عليه السلام وسموه (موشيه كداوه) أي المسيح الكذاب، وذهبوا إلى أن آدم أوصاهم بعدم اتباع أوامره ونواهيته وأنه سيدعى أنه يبرئ المريض ويشفي العليل، فإن ذلك كذب منه والذي يجئ على هذه الصفات هو عيسى الروحاني الذي يأتي بعده، أما الأول فسيأتي بجسد جسماني والثاني سيذهب إلى ألمي دنهوره، هكذا فإبراهيم ليس هو إبراهيم بل هناك صورة أخرى له كذلك عيسى، أيضاً نجد الحروف الهجائية عندهم لها معنى ظاهر وآخر باطن كذلك لها تفسير رمزي، فكل حرف له قوة من قوى الحياة والنور،

وينظرون إلى حروفهم على أنها سحرية ومقدسة وتقع الكتابه تحت تأثير الكواكب⁽⁵⁵⁾.

العالم عند المندائية (نظرة فلسفية):

إن نظرة المندائية للعالم نظرة غنوصية تعتمد على أن الله خلق عالمين في الأرض أحدهما العالم السرى ويسمونه (مشوني كوشتو) وبما أنه سرى فهو مستور عنا وهو أشرف من عالمنا المنظور، وسكان هذا العالم بشر مثلنا لكن جميعهم من الصابئة، وهم منزهون عن كل وصمة، لذلك ينتقلون بعد موتهم إلى عالم الأنوار (عولمى دنهورو)، ولهذا العالم آدم ويسمونه (آدم كاسيا) وتعنى آدم غير المنظور، وزوجته (كانات) بمعنى فاتقة الجمال.

أما العالم الثانى وهو عالمنا ويسمونه (ارثيفل) أى الأرض المشترهه، وهو دون الأول، وله أيضا آدم المختلف عن آدم المستور، وآدم هو أبو البشر ويسمونه (آدم كوره قدامى) أى آدم القديم أو الرجل الأول وزوجته حواء، وكان لكل من الآدمين بنت فجمع بينهما (هيول زيوو) في العالم المنظور وزواج كل منهما من ابنه الآخر، ثم رد آدم غير المنظور إلى العالم السرى حيث كان من قبل ذلك⁽⁵⁶⁾.

وقد جعل الصابئة الكواكب مدبرة لهذا العالم (لأنها الوسيط بين الله والعالم)، فيقال إن أول كائن ظهر بأمر الله إلى الوجود هو (مورود روتو) ويليه في المنزلة الآلهية ثلاثمائة وستون شخصا جاؤوا إلى العالم ليفعلوا الأفعال الآلهية وليسوا بآلهة، لكن كيف خُلقوا؟ أنهم لم يخلقوا كسائر المخلوقات، ولكن الله نادى كل واحد منهم باسمه جهراً فكان من تلقاء نفسه، ولهم أزواج مثلهم منهم وأولاد لم يحصلوا من النكاح بل من الكلام، فإذا تكلم أحدهم مع زوجته حملت فولدت، وهؤلاء الأشخاص متفاوتون في الدرجة وأنهم موظفون بوظائف روحانية، كمباشرة أعمال الخلق، فعملية الخلق موكلة إلى (مورود روتو) فالله أفرغ عليه من قوته حتى يتولى بنفسه الخلق.

مما تقدم يتبين لنا أن هناك تشابهاً كبيراً بين ما قالته المندائية في خلق العالم ونظرية الفيض التي وجدناها عند أصحاب الفيض ابتداءً بأفلوطين ومروراً بالفارابي وابن سينا وغيرهم من فلاسفة الفيض، فالخلق لا يأتي مباشرة عن الله بل يأتي من العقل الأول الذى خلقه الله والذى هو عند المندائية (مورود روتو) الذى يستمد قوته من خالقه ويكسب قوة

تجعله يخرج عقلا آخر وهكذا، فعملية الخلق لا ترجع برمتها إلى العقل الأول بل يوكلها إلى العقول الأخرى كذلك (مورودريوتو) يوكل لكل واحد من الثلاثمائة وستون وظيفة خاصة به وإذا كان فلاسفة الفيض يميزون بين العالم العلوى بمخلوقاته التى تختلف عن العالم السفلي فكذلك نجد المندائية فميزوا بين الخلق في العالم السماوى أى عالم الأنوار، والخلق في العالم الأسفل العالم المادى، ففي العالم العلوى تتم سلسلة من عمليات الخلق التى ينتج عنها تكوين من يسكن عالم السماوات الروحانى من ملائكة مطهرين مهمتهم تنفيذ ما يأمر به الإله الأعلى، وفي الثانية تجرى عمليات خلق ينتج عنها العالم المادى الذى يضم الأرض والكواكب والنجوم وكائنات حية وغير حية.

العالم العلوى يتكون من عوالم ثلاثة، العليا (ألمى دنهورا) أى العالم النورانى، والوسطى (إيلايا وميصايا) والسفلي (بدثايا) هذا العالم الميتافيزيقي لم يعرفه أحد، وتحاول المندائية أن تقدم صورتين لهذا العالم المجهول بالنسبة للبشر، إحداهما تتسم بالتجريد أى صورة تتناسب مع العالم الذى نتحدث عنه وهى أقرب ما نقول عنها إنها صورة مقدمة للخاصة، وصورة أخرى تتسم بالطابع المادى الحى وهى صورة مقدمة للعامة تتفق والطريقة التى تجذبهم إلى العالم الميتا فيزيقي وتحسهم على الخلاص من هذا العالم الذى يعيشون فيه للوصول إلى عالم المثل، لذلك كان لابد أن تقرب صورته إليهم من هنا تصف الجنة وما بها من نعيم وحورعين وغير ذلك، هذا عن العالم الأعلى أو بتعبير أرسطو عالم ما فوق فلك القمر .

أما العالم الأسفل أو المادى فيتألف من عوالم عدة، هكذا يكون عالم الظلام الذى هو في مقابل عالم الأنوار وهنا يتسائل رسول (منداهى) من أين جاء الظلام هو نفس سؤال أفلوطين من أين جاء الشر؟ وكما يقول رسول منداهى من أين جاءت الوحوش الشريرة؟ ويتسائل سؤال فيه استنكار واستغراب هو نفسه السؤال الذى يتردد عند كل الفرق التى تنتمى للأديان كذلك عند كثير من الفلاسفة وهو مادامت هناك عناية إلهية فكيف جاء الشر، طالما كنت أياً الحى هناك فكيف حدث أن جاء الظلام إلى الوجود؟

الحقيقة أن هذا السؤال الذى طرحه رسول منداهى لم نجد له إجابة في الكنزا، وإنما نجد رداً يؤكد فيه أن النور هو السائد وأنه سابق على كل شئ، والظلام جاء بعد ذلك، هو

يريد أن يوضح أن الخير أسبق وأشمل فيقول (لا حدود للنور ولا يعرف حتى جاء إلى الوجود، ولم يكن ثمة شئ حين لم يكن النور قد وجد، الأثرى [الملائكة] أسبق من الظلام ومن قاطنيه)⁽⁵⁷⁾.

من خلال ما تقدم من أقوال المندائية في العالم تتضح لنا النزعة الغنوصية فهناك مخلوق مقدس عالم النور والذي يعطى الروح وجوهر الحياة لآدم الذي يسكن الأرض وعلى الجانب الآخر هناك خالق الكون ومساعديه والذي يقوم بعملية الخلق، كذلك فكرة النظير المثالي فلكل شخص على الأرض نظير أو مثيل له في العالم المثالي هكذا تظهر في وثائق الكهنة المندائية شخصين كلاهما آدم، آدم الخفي أو السرى أو آدم الأرض⁽⁵⁸⁾.

أما عن موقفهم من العالم هل هو حادث أم قديم، فقد اختلفوا فيه، فذهب فريق منهم إلى أن العالم قديم لأن المادة الأولى كانت لم تنزل، هذا ما أكده القاضي عبد الجبار عندما تحدث عنهم فقال: اختلفوا في العالم فزعم قوم من قدمائهم أن هيولى كان لم يزل وإن صانعا لم يزل، ثم صنع عالما من ذلك الهيولى، لكن البعض الآخر ذهب إلى أن العالم محدث⁽⁵⁹⁾، هكذا لم يحسموا أمرهم في هذا المسألة وإن كان من المعروف أنه إذا كنا نجد قولاً بالفيض بشكل ما عندهم فضروري أن يكون العالم قديم عندهم.

نظرية المعرفة:

كما سبق أن ذكرنا أن الصابئة ذهبت إلى القول بضرورة وجود وسيط بيننا وبين الله لاكتساب المعرفة العالية، هذا الوسيط لا يجب أن يكون بشراً، بل لابد أن يكون مخلوقاً بين النور والتراب يهدى الناس إلى الحق فتفيض عليه المعرفة من الحضرة المقدسة ثم يهبط بها ويفيضها على موجودات العالم السفلية، لكن هل كل الموجودات في العالم السفلي مهيأة لتلقي هذا الفيض؟

تعتقد المندائية أن المعرفة أو العلم الرباني إنما يأتيه الله لعبادة المختارين وذلك

عن طريق :

1 - وحى أو إلهام وذلك هو الصوت الحى الأقدم.

2- إما فيضا سماويا وكشفا أى تجليا .

3- وإما بواسطة رسل اثيرين نورانيين⁽⁶⁰⁾ .

إذا كانت كلمة (مندا) تعنى المعرفة فيمكن هنا أن نتعرف كيف تحولت مندا التي هي المعرفة إلى المقدس، إنها أخذت قدسيته ذلك لأن هذه اللفظة تضاف إلى اسم الله وبذلك أصبحت المعرفة تعنى العلم الإلهي أو الرباني، وفي نظرية المعرفة يظهر الفيض مرة أخرى، فالمعرفة هبطت على آدم وحررته من ماديته وجعلته مهياً للرسالة التي خصه الله بها ، فالمعرفة تجعل الإنسان ربانيا وكما قال أفلاطون من عرف نفسه تأله⁽⁶¹⁾

ويعتقد المندائيون أن آدم هو أول من أتاه العلم ، فعرف ربه وحينها عرف نفسه ويذكر كتاب (المارشياربا) أي العالم الأكبر أن آدم عندما خُلق قال أنا ملك بلا نظير، أنا سيد كل الدنيا، وأخذ يتجول حتى استقر على جبل فرأى ساقية تجرى تحت الجبل ويأتي الماء، هنا أيقن أنه ليس سيد هذا الكون وقال: لقد علمت الآن بوجود من هو أعظم مني، وها أنا ذا أصلي وأدعو أن أقتدى به وأن أتخذه رفيقا، حينئذ جاءه صوت فانكفأ على وجهه فاقد القوة حتى جاءه ملاك بيده اليمن كتاب، استلم آدم الكتاب فقبله ثلاثمائة وسنين مرة (عدد الأشخاص الموكلين بأمر العالم) وركع أمام الملاك ثم نهض ففهم الأبجدية وأدرك الإيمان الصحيح⁽⁶²⁾ .

هكذا ظن آدم في البداية أنه يعرف نفسه لكنه بالتأمل في جنبات الكون واستعداده للوصول إلى المعرفة استطاع أن يدرك حقيقته ويتوصل لوجود من هو أعظم منه هنا عرف الله وفي نفس اللحظة عرف نفسه وتروى المندائية أن الإنسان يستطيع أن يتوصل إلى المعرفة بعد أن يمر بمجاهدات وتطهير للنفس وأن يروض نفسه على الطاعة والعبادة من هنا يحصل على استعداد واستمرار من غير واسطة هكذا ميزت المندائية، بين طرق مختلفة للمعرفة منها ما يعتمد على ملاك ينزل برسالة، ومنها ما يعتمد على المجاهدة، هكذا نجد تشابهاً بين أفكار المندائية وما قاله أصحاب الفيض، فيرى أصحاب الفيض أن الفيلسوف يستطيع أن يصل إلى المعرفة من خلال مجاهداته العقلية وترقية العقلي من عقل بالقوة إلى عقل بالفعل إلى عقل مستفاد وهنا يتصل بالعقل الفعال الذي هو مركز المعرفة، وطريقه

يختلف عن طريق النبي الذي تأتية المعرفة عن طريق الوحي.

موقف المندائية من الأديان وموقف الاديان منها:

على الرغم من أن المندائية تميزت بأبجدية خاصة بها دون غيرها كذلك بشرائع لا نجدتها مجتمعة في دين واحد إلا أننا نجدتها وقد تشابهت مع كل الأديان سواء كانت سرية أو غيرها، كما تشابهت مع الفلاسفة لاسيما في تفسيرهم لوجود الموجودات ونظرية المعرفة وغيرها، وإذا كانوا تشابهوا مع الجميع فقد اختلفوا أيضاً مع الجميع وقد ترجع المخالفة إلى أنهم تثبتوا بأصل قديم لا يفارقونه، أما تعليل المشابهة فيرجع إلى المكان الذي عاشوا فيه، فكان مقامهم على خليج فارس وهو ملتقى كل ملة سواء كان من الهند أو فارس أو طورانيين وعرب وسريان وفينيقين، فكانوا مصبا لأبناء البحار وأبناء الصحراء على السواء⁽⁶³⁾ ومن ثم كان تشابههم.

1- الصابئة واليهود:

إن المتأمل في تاريخ اليهود يلاحظ أن هذا التاريخ لم يكن تاريخاً مستقلاً في أي مرحلة من مراحلها المختلفة بل ارتبط منذ بداية ظهور بني إسرائيل وحتى الآن بالأماكن الجغرافية التي وجد فيها اليهود⁽⁶⁴⁾ وبالتالي بعلاقتهم مع جيرانهم وعلى هذا كان هناك تراث متوارثاً عند هؤلاء الجيران يكشف النقاب عن حقيقة اليهود، ومن بين هؤلاء الجيران المندائيون، ومن خلال كتب المندائين يتضح لنا موقفاً عدائياً بينها وبين اليهود، وهذا ليس بغريب على اليهود، بل إن إله اليهود (أدوناي) فيما تذهب المندائية إله ملئ بالكراهية، فهو في نظر المندائية إله شرير لا يضم لها وداً، وهو يُقرن شامش أحد السبعة الأشرار، أما موسى (ميشا) فهو نبي للرها أي للظلام، وسوف نعتمد في الكشف عن العلاقة بين المندائية واليهود على نصوص من الكتب المقدسة عند المندائية ومن خلالها نكشف عن مدى العلاقة السيئة والكراهية التي بين اليهود والمندائية تقول الكنزا (أدوناي اختار شعباً لنفسه وجمعهم في كنشتا [مسكن] واحده لنفسه، بُنيت أورشليم مدينة اليهود الذين يختنون أنفسهم بالسب ويرشون

دمائهم على وجوههم وبهذا الشكل يعبدون أدوناي، الأزواج يتركون زوجاتهم ويضاجعوا غيرهن، والنساء الحائضات يضاجعن أزواجهن، لقد ضلوا عن شوطى (المذهب الأول) واختلفوا كتاباً لأنفسهم).

ففي الكنزا محاولة لبيان أن كل المبيقات والمحرمات يفعلها اليهود، ثم تأتى توصية الكنزا للصابئة فتقول (أقول لكم أيتها الصفة المختارة، لا شأن لكم من هؤلاء العبيد الذين سلخوا طريق الفسق فتخلين عن سيدهم، لا تختلطوا مع اليهود الذين لا يتفقون على كلمة واحدة، كل الملل والنحل تخرج من الشعب اليهودى، فالأنبياء الكذبة جاؤا إلى الوجود ليجوبوا بأكاذيبهم وزيفهم) ⁽⁶⁵⁾.

ثم نجد في كتاب آخر من الكتب المقدسة عند المندائية وهو سيدراديهيا، وهو كتاب كما سبق أن أشرنا يحكى عن يحيى عليه السلام فيقول على لسان يحيى (لم أرغب ولن أرغب في النزول إلى مدينة أورشليم مدينة الشر المدينة التى كلها إثم، مدينة الخاطئين، المدينة التى بناها أدوناي والتى ملأها بالأكاذيب وحدثت فيها الاضطهادات ضد اتباعى) ⁽⁶¹⁾، ويرجع العدا بين المندائية واليهود إلى ذلك الاضطهاد الذى لاقتته المندائية من اليهود.

يعرض كتاب دراشا ديهيا عن المحاولات التى بذلها اليهود لصرف المندائية عن دينهم، ويذكر الكتاب (ميرياي) التى هى رمز للمندائية، ومرياي تعنى الفناة العالية التى هجرت اليهودية لتنضم إلى المندائية فيقول عنها: (إنها غدت تكره اليهودية وتحب الناصورانية) ⁽⁶⁷⁾، إنها تكره الهيكل وتحب باب المندى أصبحت ترفض التمانم وتحب الأكاليل، إنها تعمل في السبت وتكف يديها عن العمل يوم الأحد) تقول ميرياي (ليت التراب يملأ أفواه اليهود، والمراد يملأ أفواه الكهنة، ليت روث البهائم يغطى رؤوس الشيوخ في إسرائيل، لن أتخلي عن حبي لمن كسبت حبه، لقد ظفرت بحب منداهى وأمل أن يعيننى على النهوض من إقليم الظلام إلى إقليم النور).

وتستمر محاولات اليهود في صرف ميرياي عن المندائية ومحاولة إرجاعها إلى أورشليم إلى أحضان اليهودية، وهى تأبى، وتحكى الأسطورة أن نسرأ كبيراً انقض على اليهود وضربهم بأجنحته وقذف بهم إلى أعماق المياه السوداء الملتهبة، وأغرق بواخرهم ودمر الهيكل وأشعل النار في أورشليم انتقاماً لميرياي، هذه القصة التى تحكيها دراشاديهيا، هى محاولة

من جانب المندائية لمزج الأسطورة بالحقيقة، فيحكي المؤرخ اليهودي (جوزينوس) أن الناس يعتقدون أن أورشليم وتشبثت اليهود على أيدي الرومان إثر ثورة اليهود الأولى جاء انتقاماً من الله على قتلهم يحيى وهذا يعنى أن ميريائي وأصحابها خرجوا من أورشليم بعد مقتل يحيى وقبل الثورة اليهودية الأولى⁽⁶⁸⁾.

وإمعاناً في العدا بين المندائية واليهودية فقد صورت المندائية (ادوناي) أو (يهوه)⁽⁶⁹⁾ بصفات تذكرنا بآلهة الأولمب، صفات لا تليق بقدسية الإله، فهو يحب وبكره ويغضب وغير ذلك من الانفعالات التي يتصف بها الإنسان، فهو إله يمكن محادثته ومناقشته، بينما وصفوا إلههم وصفاً مجازياً إذ إنه يجلب عن الوصف، وطبيعته لا تُعرف ليس فقط من جانب الإنسان بل من جانب المقربين إليه من الملائكة فالمندائية ترى في إلهها المطلق.

وعلى الرغم مما ذكر يمكننا أن نقول إنه في بداية كتب المندائية لا نجد هذا العدا الذي ذكر في النصوص المتأخرة بل على العكس من ذلك، فكانت أسماء الملائكة اليهود ذات أهمية بالغة في دفع اللعنات، حتى إن أدوناي كان يستخدم أحياناً بشكل إيجابي وذلك لدفع اللعنات⁽⁷⁰⁾، كذلك قد نجد ثمة تقارب بين المندائية واليهودية وذلك في نظرهم للنبوة فليس كل ما يعترف به المسلمون من أنبياء يعترف به المندائية أو اليهودية، فعلى سبيل المثال الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى عليه السلام لم يطلق عليهم اليهود لفظة أنبياء، بل إنه نادراً ما يطلق على إبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف وغيرهم من الشخصيات التي ظهرت قبل موسى عليه السلام لفظة أنبياء، وقد استبدل التراث اليهودي كلمة نبي وأنبياء بكلمة أب أو آباء لتعريف هذه الشخصيات⁽⁷¹⁾ كذلك نجد المندائية لا تعترف بالأنبياء وتقول إنهم معلمون معرفيون.

المندائية والمسيحية :

على الرغم من أن البعض يشير إلى الصابئة على أنها طائفة مسيحية، إذ إن يوحنا المعمدان (يحيى) قد بشر بها إلا أن الصابئة قد واجهت اضطهاداً عنيفاً من قبل المسيحية سواء كان هذا الاضطهاد في الكذب والافتراء عليها أو تشويه عقائدهم، وقد سبق أن أشرنا إلى الافتراء من جانب ابن سنكلا، كذلك ما نسبته عبد المسيح بن إسحق إليهم حيث قال إن من عادة الصابئة ذبح الأطفال سرّاً⁽⁷²⁾، وهذا قول ظاهر الكذب والبهتان

فكيف بمن ينفر من ذبح الحيوانات بل وعندما يذبحوا ما أحل لهم دينهم يطلبون المغفرة من الله فكيف بهؤلاء يذبحون الأطفال !.

وعلى الرغم من ذلك نجد ثمة تقاربا بين المسيحية والمندائية أقر به عدد من كبار أساتذة وباحثي اللاهوت الألمان وفي مقدمتهم بلتمان وبوسيه ذهبوا إلى أن أنجيل يوحنا قد تأثر بالمندائية، وقارن بلتمان مقدمة الإنجيل بالتراتيل المندائية من حيث المعاني والمصطلحات والأساليب الشعرية وانتهى إلى أن واضع الإنجيل ربما كان من المعمدانيين وتحول إلى المسيحية، إلى هذا الحد كان التقارب بينهما، ويقول الباحث الدانماركي بالس إن البحث في العهد الجديد لاسيما ما يتعلق بكتابات يوحنا قد جرى كله تحت رايه الدين المندائي⁽⁷³⁾ وما يؤكد الأقوال السابقة أنه جاء في كتاب دارشة ديهيا أن المسيح كان من أكبر الناصورائين وأقواهم عقيدة، لكنه خرج عن صابئيته بعد أن استقل بالدعوة فحرف كلمات النور وأبد لها بالظلام وهذه الرواية تؤكد ما قلناه أنفا من اعتقاد الصابئة بأن عيسى ليس نبيا وليس هو المسيح إنما هو زانفا وهناك رواية أخرى تذهب إلى أن عيسى هو ابن خالة يحيى (يوحنا المعمدان) وكان معاصراً له، وكان يحيى محتاجا إليه في قضاء ما كلف به وهناك تقارب شديد بين ولادة يحيى وولادة عيسى⁽⁷⁴⁾ كذلك هناك تقارب بين المسيحية والصابئة في أهم شعيرة عندهما وهي التعميد، فالمعمودية عند النصارى سرّاً مقدساً، وكما يقولون فيها به نولد ميلاداً ثانياً أي ميلاداً روحانياً نتخلص به من الخطيئة كذلك هي أهم شعيرة من الشعائر عند الصابئة ومن أهميتها أنه يندر أن نجد صابئاً يسكن بعيداً عن الأنهار الجارية، كذلك فكرة المخلص نجدها عند الفريقين لكن هناك بعض الاختلافات بينهما فالصابئة تؤمن بأن يحيى هو المخلص لكن ماذا يخلص؟ هل هو الخلاص الذي نعرفه في المسيحية الخلاص من الخطيئة؟

إن المصادر المندائية تذهب إلى أن الصابئة أخذت تعاليمها من آدم ، غير أن تقآدم العهد وبمرور الوقت دخلت بعض المذاهب الوثنية والأفكار الزائفة فدخل على الدين القديم أفكار غريبة، فكان لا بد من مجيء من يخلص هذا الدين من الشوائب التي علقت به فجاء يحيى للقيام بهذه المهمة، هكذا نجد فكرة المخلص واضحة في المعتقد الصابي، فإذا كان يحيى مخلصاً يخلص الدين من الشوائب، فنجد فكرة المخلص ظهرت بشكل آخر عند

الصابئة وهو ذلك المخلص الذى يأتى من السماء ويهبط إلى الأرض من خلال اثنين من الملائكة هما :-

- 1- منداهيى (عارف الحياة) حين هبط إلى العام الدنيوى ليرشد آدم إلى طريق الخلاص.
- 2- الثانى هو (انش إثرا) الذى هبط ليعلم يحيى ويرسم له الطريق التى ينبغى له أن يبشر بها لخلاص لبشر ويخلص الدين مما علق به من شوائب.

هكذا نجد فكرة المخلص واضحة عند الصابئة ومن خلالها يتضح فيض المعرفة التى تأتى من أعلى يؤكد القاضى عبد الجبار على إثر الصابئة في المسيحية وإنها لا تختلف عنها كثيراً فما أزال إلا عبادة الكواكب ومازاد إلا تعظيم المسيح والقول بربوبيته، وتعظيم الصليب، ولم يكن هذا بالعبيد عن الروم لأنها اعتقدت في الكواكب وهى جماد موات، إنها أرباب وتنفع وتضر، والتثليث الذى للنصارى قد كانت فلاسفة الروم تتحو نحوه فيقولون العقل والعامل والمعقول شيئاً واحداً ويقولون هو من التثليث⁽⁷⁵⁾، لقد حاول القاضى أن يبين العلاقة بين الصابئة والمسيحية وأن المسيحية متأثرة إلى حد بعيد بأفكار الصابئة .

الصابئة والإسلام :

إذا كانت الصابئة قد واجهت اضطهاداً من قبل اليهودية والمسيحية فما موقف الإسلام منها وإلى أى حد كان تأثيرها على المسلمين؟ هل كانت هناك علاقة بين الصابئة والمسلمين؟ مجموعة من الأسئلة تبحث عن إجابة، ومن خلال الإجابة عنها يتكشف موقف الإسلام من الصابئة .

يُعد موقف الإسلام من الصابئة كموقفه من الإنسان بشكل عام، فالدين الإسلامى دين إنسانية إليها توجهت تعاليمه وكانت رسالته، لقد أعطى الإسلام حقوقاً للإنسان قد لا نجدها في غيره من الأديان فكفل له كرامته وحرية، تلك الحرية التى وسعت كل شئ حرية التملك وحرية الرأى وحرية التنقل وعلى رأس هذه الحريات حرية المعتقد قال تعالى (لا إكراه في الدين) (لكم دينكم ولى دين)، بل إن رسولنا الكريم يقول: من ظلم معاهداً أو أنقصه حقه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حبيجه يوم القيامة.

في ظل هذا يتضح لنا السماح الذي يُمتنع بها الإسلام كل من يعيش في ظله سواء كان مسلماً أو ليس كذلك، وإذا كان هذا هو موقف الإسلام من الإنسان بوجه عام فما بالك بمن أوصى الله عليه في كتابه الكريم، لقد جاء ذكر الصابئة في القرآن الكريم في أكثر من موضع، وإذا كانت الصابئة كما ذكرنا أنفاً من الطوائف المنعزلة على نفسها ولم يعرف أحد شيئاً عنها، فجاء القرآن الكريم وعرفنا حقيقتها وعدها ضمن أهل الذمة وقد ذكرت في ثلاث سور في سورة البقرة الآية الثانية والستون، كذلك في سورة الحج الآية السابعة عشر، كذلك في سورة المائدة قال تعالى [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] (76).

وقد تجلت سماحة الإسلام مع الصابئين في منشور صدر في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، كُتب لهم عن أمير المؤمنين مرسوم أمر فيه بصيانتهم وحراستهم ورفع الظلم عنهم وبالتخلية بينهم وبين موارثهم وترك مداخلتهم ومشاركتهم فيها⁽⁷⁷⁾، إذا كان القرآن الكريم قد نكرها واعتبرها واحدة من أهل الذمة أو تُعامل معاملة أصحاب الكتاب، لذلك نعمت الصابئة بالتسامح والتعايش الآمن مع المسلمين، وكان لهذا أثره على المسلمين فمن دخل من الصابئة في الإسلام دخل بموروثاته القديمة ولم يستطع أن يتخلص منها بالكلية، كذلك من بقي على صابئيته أثر بشكل أو بآخر على فكر المسلمين وكان من نتائج تأثيرهم أن ظهرت الفرق الباطنية كالإسماعيلية فكما هو معروف ان الفكر الاسماعيلي مزيج من فلسفات وديانات شرقية ومنها ديانة الصابئة، تلك الديانات الذي تجتمع على التفرقة بين الظاهر والباطن، وعلى ذلك كان الستر أو التكتم على الأسرار أهم ما يميز الإسماعيلية والذي يرجع ضمن ما يرجع إلى الصابئة ولناخذ مثالا على ذلك؛ السجستاني في كتابه إثبات النبوات يفسر الصوم تفسير يختلف عن فهمنا وممارستنا له فيقول إن الصيام للمسلمين واليهود والنصارى وعبدة الأوثان إنما وسمت بالصمت وقت كتمان الحكمة، والحق في ذلك لغلبة الباطل وأهله على الحق وأهله، ولما غلب الباطل وأهله على الحق وأهله قام الحق وأهله بالسكوت والكتمان لمذهبهم وكف ألسنتهم عن الخوض فيما لا رواج له خوفاً من أن يرموا بما يكون فيه حتقهم وهلاكهم.

ومما يؤكد تمسك الإسماعيلية بالستر والتكتم الذي هو أهم ما يميز الصابئة، إن السجستاني حين فسّر الآية الكريمة (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَرْوِجَكُ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ

يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ) يفسرها بأنها دعوة من الله تعالى بالكتمان، ويرى أن تفسير الآية أرشد أجنحتك إلى الستر بالظاهر وامنعهم عن الكشف عن نشر الحقائق بين أهل الظاهر كي لا يعرفوا فيؤذوا⁽⁷⁸⁾.

كذلك أثر الصابئة على مفكرى الإسلام في مسألة شغلهم وهى مسألة صفات الله، فكما سبق أن ذكرنا أن الصابئة ذهبوا في الصفات مذهب النفاة، وكان لهذا أثره على الجهمية، فجهم بن صفوان تتلمذ على يد الجعدين درهم، وكما يقول الأشعري وابن تيمية وغيرهما إن أول من أظهر النفي في الإسلام الجعد بن درهم وكان يقال إنه من أهل حران وعنه أخذ الجهم بن صفوان مذهب نفاة الصفات، وكان بحران أئمة الصابئة الفلاسفة بقايا اهل هذا الدين ونفاة الصفات والأفعال.

بالإضافة لما سبق نجد أن هناك مجموعة مشتركة من المفاهيم الدينية بين الصابئة والإسلام، فهم يقيمون الصلاة عدة مرات في اليوم ويسبق الصلاة وضوء، ويعرفون نواقص الوضوء، ويغتسلون من الجنابة، لكنهم في كل ذلك يغالون فكان دينهم عُسراً لا يسراً بينما ديننا الحنيف يسر لا عُسر.

إذا كان الفقهاء دار بينهم جدل عنيف حول حقيقة الصابئة فبعضهم ذهب إلى أنهم من أهل الذمة وبعضهم ذهب إلى أنهم مشركون وغير ذلك من آراء سبق لنا عرضها، كذلك قد تناولها بعض المتكلمين بالنقد وسوف نعرض لموقف القاضى عبد الجبار منها:

عندما تناول القاضى الفرق غير الإسلامية بالدراسة والنقد وخصها بجزء من مغنية فلم تشغل الصابئة في هذه الدراسة إلا قدراً متواضعاً بالقياس إلى غيرها من الفرق الأخرى التى تناولها كالمجوسية والتتويه والنصاري وغيرها وقد يرجع ذلك إلى قلة عدد التابعين لهذه الديانة، وكان سؤاله المحورى يدور حول حقيقة هذه الطائفة هل هم موحدون أم ليسوا كذلك؟، ويجيب بأن الصابئين من الفرق الكافرة ويختلف مع الفقهاء الذين اعتبروا الصابئة أمة لها كتابا، فيرى أنهم عبدوا النجوم وصاروا عن هذا الوجه مشبهين لمن يعبد الشمس والقمر من المجوس وكأنهم فارقوا عبادة الأوثان من حيث شاهدوا هذه النجوم من أعظم الأجسام تأثيراً في الزرع وأحوال الدنيا، لذلك قالوا إنها تستحق العبادة ويرى القاضى أن هذا التأثير يرجع إلى الله فإله أحق بالشكر والعبادة منها⁽⁷⁹⁾ ويوجه القاضى سهام نقده على الصابئة

ويذكر الاسباب التي من أجلها عدها فرقة كافرة أنهم نقوا النبوات ويدعون للكواكب التدبير، ثم يقول لا يمتنع أن تكون هذه الفرقة أنها تدعى التمسك بشريعة شيث هي التي أراد الفقهاء دون الحرانيين، وقد قيل إنه جرى في أمرهم في أيام بعض الخلفاء (يقصد الخليفة العباسي المأمون) ضرب من الحيل اعتصموا به من القتل وأوهموا أنهم صنف من النصارى⁽⁸⁰⁾.

الحقيقة أن ما قاله القاضي يحتاج إلى شئ من التدقيق، فهذه الفرقة التي نتحدث عنها وإن كانت فرقة مختلفة عن الحرانيين كما يقول القاضي نفسه، إلا أنها ليست فرقة من النصارى ولم تُؤهم بذلك، هذا ما اكده ابن النديم في فهرسه وأيضاً ما جاء في القرآن الكريم من اعتبارها طائفة إلى جانب اليهود والنصارى وليست واحدة منهما كذلك إذا كان القرآن الكريم قد ذهب إلى وضع المؤمنين من الصابئة في صف واحد مع المؤمنين من اليهود والنصارى فلا يمكن أن نتصور أن أقوالهم في النبوة وفي غيرها من المسائل العقديّة كما وصفها البعض بأنها خروج عن الصحيح، فهذا يجعلنا نتوقف ونحاول أن نبحث عن أفكار لهم تتفق ووصف القرآن الكريم لهم، إذ لا بد أن يكونوا أصحاب دين صحيح، وإلا ما ذكرهم القرآن وهذا يؤدي بنا إلى القول بأن الصابئة في بدايتها كانت دينا صحيحا وهذه الفرقة التي قصدها القرآن فقال إنهم المؤمنون من الصابئة فقد خص من الصابئة المؤمنين.

صابئة حران:

سبق أن أشرنا إلى أن الصابئة لفظة أطلقت على العديد من الطوائف لكن أكثرها شهرة الصابئة المندائية والصابئة الحرانية، وقد حدث خلط بين الطائفتين، ومن ثم كان لا بد أن نوضح أن هناك خلافا بين الطائفتين، فقد عرضنا للصابئة المندائية ومن خلال العرض أوضحنا عقائدهم وشعائهم وكل ما يتصل بهم بقي الآن أن نعرض لصابئة حران ومن خلال العرض سيبتين لنا مدى الاتفاق والاختلاف بين الطائفتين كان الحرانيون ينسبون حكمتهم المصطنعة بصيغة التصوف والأسرار إلى هرمس وأيضاً ترجع إلى العصر الإغريقي المتأخر⁽⁸¹⁾ لهذا التأثير الواضح عندهم أدى بالمسعودي إلى القول بأن الطائفة المعروفة بالحرانيين والصابئة فلاسفة إلا أنهم من حشوية الفلاسفة وعوامهم، وهؤلاء الصابئة لهم هياكل على أسماء الجواهر العقلية والكواكب، فمن ذلك هيكل العلة الأولى وهيكل الصورة وهيكل النفس⁽⁸²⁾.....، وقد أعطوا لكل هيكل من هذه الهياكل رمزاً فمنها ما هو مسدس وما هو

مثلث ومستطيل إلى غير ذلك من أشكال هي بمنزلة رموز لها أسرار يخفونها، وكانت كتبهم سرية مكتوبة بلغة خاصة ليحجبوا الحكمة عن العامة ثم يحفظوها عن ظهر قلب كي تخفى في الصدور وهم في هذا أشبه بالمندائية، كذلك بإخوان الصفا، فيذهب إخوان الصفا إلى أن الدين له ظاهر وباطن وقوامه بهما جميعاً⁽⁸³⁾، اعلم أن الدين شيان أحدهما هو الأصل وملاك الأمر وهو الاعتقاد في الضمير والسر، والآخر هو الفرع المبني عليه القول والعمل في الجهر والعلن⁽⁸⁴⁾ وسوف نجد من خلال بحثنا في عقائد الحرائية أفكاراً كثيرة كان لها اثر واضح على اخوان الصفا، وقد صرح بذلك إخوان الصفا أنفسهم حيث قالوا: إن مذهبنا واعتقادنا مذهب صابئة حران.

عقائدهم :

الله وصفاته:- يعتقدون أن الصانع المعبود واحد وكثير في آن واحد، فهو واحد في الذات والأزل والأصل، أما أنه كثير فذلك لأنه يتكرر بالأشخاص في رأى العين، فإنه يظهر بها ويتشخص ولا تبطل وحدته في ذاته⁽⁸⁵⁾، أما رأيهم في العلم الإلهي فذهبوا فيه مذهب الفلاسفة بل نجدهم في بعض الأحيان كانوا أكثر تطرفاً منهم، فكانوا ينفون عن الله صفة العلم بالموجودات ظناً منهم (كما ذهب الفلاسفة) أن هذا العلم يضيف إلى الله الكثرة، فأنه غني عن العالمين وهو لا يعلم إلا ذاته لأن الله عقل العقل⁽⁸⁶⁾ والصابئة الحرائية كالمندائية يعتقدون أن النجوم والكواكب تتحكم في مصائر البشر ولذلك ذهب إخوان الصفا إلى القول بأن الله ملائكة هم خالص عباده وصفوة بريته نصيبهم لحفظ عالمه ووكلمهم بتدبير خلائقة لا يعصونه طرفة عين، ويفعلون ما يؤمرون⁽⁸⁷⁾.

القدر: كانوا يؤمنون بحتمية القدر وأن الإنسان يستطيع أن يقلل من حدته بالتوسل والدعاء الأفلاطوني والتوسل الهرمسي، هكذا صارت فلسفتهم دعوة للخنوع وركون الإنسان المظلوم لقدره المحتوم⁽⁸⁸⁾.

النبوة: إذا كانت المندائية رفضت أن يكون هناك وسيط بشراً بين الله ومخلوقاته، وأنها لا تعترف بالنبوة، والأنبياء ما هم إلا معلمون معرفيون، فإننا نجد الحرائية لها موقفاً آخر من النبوة يتفق ورأى الفلاسفة، فالنبوة تعد أعلى مرتبة ينتهي إليها البشر وينالها الإنسان بصفاء جوهر نفسه في قبول الوحي بما يدرك من المعارف الخفية بالقوة الناطقة، وقالوا إن

نفوس الأنبياء مهياً بصفاء جوهرها على تقبل الوحي من النفس الكلية⁽⁸⁹⁾.

ويتأكد لنا التشابه الكبير بين الحرائية والفلاسة في تفرقتهم بين الحكيم والنبى، فيروا أن الحكيم عندما يصل إلى علم من العلوم أو ألف كتاباً أو استخرج صفة أو دبر سياسة نسب ذلك إلى نفسه واجتهاده وجودة رأيه تماماً كما ذهب الفلاسة إلى أن هناك نوعاً من الناس لهم القدرة على الوصول إلى المعرفة دون أن يتوسط لهم أحد وذلك فقط بالترقي في مدارج العقل إلى أن يتصل بالعقل الفعال الذى هو مصدر المعرفة، أما النبى فلا ينسب إلى نفسه شيئاً مما يقول أو يفعل، بل إلى الوسطة التى بينه وبين ربه أى إلى الملائكة التى توحى إليه فغاية الحكيم أن يتجلي لعقله كل الكون ويتشبه بالإله الحق، وغاية النبى أن يتجلي له نظام الكون فيقدر على ذلك مصالح العامة حتى يبقى نظام العالم وتنظم مصالح العباد⁽⁹⁰⁾.

عقيدتهم في النفس وأثرها على اخوان الصفا:-

اختلفت الآراء حول مصير النفس منذ أقدم العصور، وكان للصائبة الحرائية رأى فيها، إذ كانوا يعتقدون بتناسخ الأرواح، وهذا القول يغير ما ذهبت إليه المندائية، فإذا كانت المندائية ترى أن النفس الطاهرة تذهب إلى عالم الأنوار والنفس المخطئة تنال عذابها على قدر الجرم الذى ارتكبته⁽⁹¹⁾ فنجد الحرائية ترى أن النفس الطاهرة تصعد إلى الكواكب، أما المخطئة فعقابها وعذابها يكون بسقوطها في جسم آخر سواء كان هذا الجسم إنساناً أو حيواناً حسب جرمها الذى ارتكبته، ولذلك نجدهم يقولون لا تخشوا تمزيق الأقمصة، الأقمصة تتبدل والروح ثابتة في كل الأزمان، وفي ذلك يقول السهروردى⁽⁹²⁾.

قل لأصحابى رأونى ميتا فبكونى إذ رأونى حزنا
لا تظنونى بأنى ميت ليس ذا الميت والله أنا
أنا عصفور وهذا قفصى طرت عنه فتخلي رهنا

فلا يوجد عندهم نار بل هناك جنة فقط وفي هذا يقول الإمام فخر الدين الرازي ذهبت الحرانية إلى أن النفس قديمة قدم الباري سبحانه، ودليلهم على قدمها أن كل محدث مسبوق بمادة، والنفس ليست مادة، فهي قديمة، والنفوس الصالحة تسعد بعد الموت برجوعها إلى الكواكب أما النفوس الشريرة فإنها تتقمص الجسد الإنساني ثانية أو أنها تمسخ بجسد حيواني وتتطهر وتصعد إلى الكواكب ثانية ويذهب إخوان الصفا إلى أن الصابئة ينتظرون القيامة كشف وبيانا واطلاعا عليها، وهم الذين يعرفون الأمور العقلية والجواهر الروحانية وحقيقة الموت بأنه ترك النفس لاستعمال الجسد⁽⁹³⁾، كذلك يعبرون عن القيامة بمعنى آخر فهو يقظة النفوس الجاهلة، وهم لا ينتظرون بعث الأجساد ولا يأملون نشرها، وهذا ما ذهب إليه إخوان الصفا أيضاً، فقالوا: إن معنى القيامة مشتق من قام يقوم قياماً والهاء للمبالغة، وهى من قيامة النفس من وقوعها في بلائها، والبعث هو انبعاثها وانتباهها من نوم غفلتها ورقدة جهالتها⁽⁹⁴⁾، وهناك نوعان من القيامة قيامة صغرى وهى قيامة النفس من نوم الغفلة، وقيامة كبرى هى تلك التى تشتمل الجنس البشرى كله وانتهاء الدور وابتداء دور جديد⁽⁹⁵⁾.

وإذا كانت الصابئة الحرانية ذهبت إلى أن عذاب النفس الشريرة هو بقاؤها في عالم الكون والفساد فهذا أيضاً ما ذهب إليه إخوان الصفا بأن الذين لا يعرفون شيئاً عن حقيقة النفس والأمور الروحانية وذلك لشدة استغراقهم في ظلمات الجهالات، فإذا سمعوا ذكر جهنم لا يتصورونها إلا أمراً صناعياً، وهو أنهم يظنون أن جنهم خندق كبير واسع مملوء من نيران تشتعل وتلتهب وأن الله تعالى يأمر الملائكة قسداً منه وغيظاً على الكفار أن يأخذوهم ويرموا بهم في ذلك الخندق وكلما أحرقت أجسادهم وصارت فحماً ورماداً أعاد فيها الرطوبة والدم حتى يشتعل من الرأس ثانياً⁽⁹⁶⁾.

فجهنم عند إخوان الصفا كما هى عند الصابئة الحرانية ليست هى التى ذكرناها، فهذا هو تصور العامة الجهلة الذين لا يستخدمون تأويل كتبهم ولا يعرفون معانى إشاراتهم ورموزها ودقائق أسرارها فكما يقولون اعلم وتيقن ولا تشك في أن جهنم هى عالم الكون والفساد الذى هو دون فلك القمر ويتكرر هذا القول في جزء آخر من رسائلهم فيقولون: اعلم يا أخى أن النار وجنهم هى عالم الأجسام التى تحت فلك القمر⁽⁹⁷⁾.

وإذا كانت المندائية حللت الذبح فكانت الغاية منه أكل اللحوم وحددت أنواعاً من

الحيوانات والطيور التي تذبح لهذا الغرض، أما الأمر مع الحرانية فمختلف فإذا كانت قد أحلت الذبح فالى جانب الأكل كان هناك غرض آخر، وذلك الغرض يرتبط عندهم بعقيدتهم في تناسخ الأرواح فإذا كانت النفس قد تتقمص جسم حيوان فلذلك كانوا يقومون بذبح الحيوان لتخليص النفس الانسانية الموجود فيه وتخليصها من محبستها، هذا ما أكده إخوان الصفا حيث قالوا: إن غاية الحرانية وغرض واضعي النواميس من تحليل ذبح البهائم في الهياكل إنما هو ليس لأكل لحومها فحسب بل لغرض تخليص نفوسها من درجات جهنم عالم الكون والفساد ونقلها من حال النقص إلى حال التمام والكمال في الصورة الإنسانية، هكذا نجد عقائد الصابئة الحرانية والتي اختلفت في كثير منها عن عقائد الصابئة المندائية وتقاربت مع إخوان الصفا.

مراتب المجتمع الحراني:-

إذا كان المندائيون ينقسمون إلى عامة ورجال دين، ورجال الدين لهم مراتب، فإننا نجد الحرانيين أيضا وقد قسموا مجتمعهم إلى أربع مراتب:

1- طبقة الصديقين سموا كذلك لتصديقهم صاحب الشريعة ونصرتهم له ومن هؤلاء ينتخب الكاهن الأكبر وهم أهل عرفان، اطلعوا على الأسرار الإلهية من صاحب الشريعة وسُمح لهم بتفسير الكتب الإلهية، ويمتازون بصدق اللسان والعفة.

2- طبقة الشهداء سموا بذلك لشهادتهم صاحب الشريعة ومنهم يختار من يتولى رئاسة المجالس السرية وهم دون أصحاب العرفان.

3- طبقة المؤمنين الذين آمنوا بتعاليم صاحب الشريعة ولكن فهمهم قصر على معرفة الأسرار الإلهية وتصور الأمور الروحانية.

4- طبقة العوام وهم صابئة بالنسب دون أن يأخذوا أسرار الدين ولم يؤمنوا بما أقرؤا بلسانهم وقد يراودهم الشك وهم كالأعراب الذين ذمهم القرآن⁽⁹⁸⁾.

أثر الصابئة الحرانية في الحياة الدينية والثقافية:-

ذكرنا أنفا أن هناك علاقة بين الصابئة المندائية والأديان الأخرى وكان لها تأثير

بشكل أو بآخر عليها، كذلك نجد علاقة بين الصابئة الحرائية وفرقة السامرة اليهودية، والسامرة هي فرقة يهودية يبالغون في الطهارة والتقشف أكثر من سائر اليهود، قبلتهم هي جبل عريزيم بين بيت المقدس ونابلس وهي قبلة خاصة بهم، ولهم لغة خاصة بهم أيضاً، أثبتوا نبوة موسى وهارون ويوشع وأنكروا نبوة من بعدهم، اتفقت الحرائية مع السامرة في أن كلا منها ترك العبادة الصحيحة وعكفوا على عبادة من لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً⁽⁹⁹⁾.

هكذا كانت علاقة المندائية بالديانات الأخرى أكثر جدلية من علاقة الحرائية بالأديان، لكن هذا لا يمنع من القول بأن للصابئة الحرائية أثراً واضحاً على التراث الإسلامي، فقد تركوا بصمة فكرية وعلمية كبيرة لم تتل حظها من الدراسة بين جمهور الباحثين، فقد كان هناك بعض من الأسماء المؤثرة في الحياة العلمية والثقافية، بل والحياة السياسية أيضاً في العصر العباسي، ومن هؤلاء أسرة بنى زهرون وأسرة بنى قره ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن زهرون، هلال بن المحسن من إبراهيم هلال ومحمد بن هلال المعروف بغرس النعمة، سنان بن ثابت، وثابت بن قره، الذين قدموا خدمات جليلة في علوم الفلك والرياضيات عند العرب، وقد نشط قليل منهم في الترجمة والتأليف مما يدل على سعة العلم وكان لكثير منهم اتصال وثيق بعلماء الفرس والعرب في القرن الثامن إلى العاشر الميلادي⁽¹⁰⁰⁾ من خلال ما تقدم يتبين لنا أن هناك farkا بين الصابئة المندائية والصابئة الحرائية يتضح ذلك في كثير من العقائد التي كان يؤمن بها كل منها.

الخاتمة :

كان طبيعياً أن يختلف الباحثون حول مسألة من المسائل التي يتناولونها بالبحث، لكن الذي يثير التعجب والدهشة أن يختلفوا كل هذا الاختلاف حول الصابئة، بل إن الاختلاف بينهم كان محل اتفاق الجميع، وكما سبق أن أشرنا إلى هذا الاختلاف الذي وقع فيه الباحثون يرجع إلى الصابئة أنفسهم، فقد اضطرت في حقيقة أمرهم أقوال الباحثين واختلفوا في نسبتهم وعقائدهم الدينية فضرب كل منهم على وتيرة جادت بها مفكرته على هذا الدين الخفي المحجوب عن الأبصار، من خلال البحث يمكن لنا القول بأن لفظة صابئة أطلقت على طوائف عديدة، هذه الطوائف تطورت عن الصابئة الخالص (الموحدون) الذين هم أصحاب دين صحيح فما من أمة من الأمم إلا وأرسل الله عليها رسولا (وإن من أمة

إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) فأرسل الله الرسل حتى لا يكون للناس حجة على الله، فيقطع عليها حجته، ويقطع عنها حجتها، لكن طراً على هذا الدين الانحراف والتحريف، ففي البداية أقروا بالله واعترفوا بعجزهم عن الوصول إليه ومن ثم تقربوا إليه بالوسائط فاتخذوا الملائكة زلفي (الروحانيات) لكنهم لم يعاينوا الملائكة فجاءت طائفة منهم وقالت بالهياكل (الكواكب السبعة السيرة) لأنها مدبرة للعالم، وهناك منهم من وجدوا أن الهياكل ليس لها وجود فانتهى بهم الحال إلى أن نصبوا أصناماً وجعلوها أمام أعينهم وتوسلوا بها للهياكل، فهي إذاً سلسلة قصدوا منها في النهاية التقرب إلى الله فالصابئة يجمعون بين التوحيد والوثنية، وكانوا في ذلك يمارسون شعائر شاقة وإن كانت مختلفة بين أشهر هذه الطوائف (المنذائية والحرائية)، فالمنذائية كانت أكثر صعوبة وقسوة في شعائرها.

وجدير بنا أن نشير إلى الجانب الفلسفي الذي ظهر واضحاً عند كلتا الطائفتين سواء تمثل عند المنذائية من خلال كيفية إيجاد الموجودات وهي صورة من الصور التي وجدناها عند أصحاب الفيض، كذلك الفيض عندهم لا يقتصر على الجانب الأنطولوجي بل شمل الجانب المعرفي الأبيستمولوجي، فالمعرفة تأتي فيضاً من أعلى، وقد أضاف الصابئة الحرائية بعداً آخر للمعرفة، فالمعرفة تتصل بالثواب والعقاب، فالنفس الطاهرة الخيرة هي النفس التي تتال المعارف الحقيقية والتي تتصل بالعالم الآخر وتخلد فيه، بينما النفس الخبيثة فهي تلك التي تعاقب بأن تُحرم من المعرفة وتظل في عالم الوهم والظن عالم الكون والفساد وتحل في جسم حيوان أو إنسان.

على أية حال لقد كان للصابئة المنذائية منها والحرائية أثر على الحياة وخصوصاً في ظل الدولة الإسلامية وهذا شئ طبيعي لأنهم تمتعوا بالتسامح والحرية في ظل هذا الدين الحنيف، وختاماً أقول إن الإنسان لا يعرف فضل دينه إلا بأن يعلم شرائع الأمم، فديننا الحنيف دين الإنسانية دين عالج أمور الدنيا والآخرة وهو دين يُسر لا عُسر، ومن ثم كان له كل هذا الانتشار وحفظه الله وسيحفظه إلى يوم الدين.

الهوامش :

- (1) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص4، الشيخ مصطفى عبد الرزاق، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ط2، سنة 1959.
- (2) الصابئون ، ص4، عبد الله على سمك، مكتبة الآداب القاهرة ط1، سنة 1995، أيضا أصول الصابئة (المنذائين) ومعتقداتهم الدينية، ص18، 19، 23، عزيز سباهي، دار الصدى للثقافة والنشر سوريا ط1، سنة 1996.
- (3) صفحات من تاريخ الأديان ص19، 21، على محمد عبد الوهاب، دار ركابي للنشر القاهرة ط1، سنة 1996، أصول الصابئة ص32، أيضا الصابئون ص33
- (4) الملل والنحل ج2، ص76، الشهر ستاني مكتبة السلام العالمية.
- (5) القرطبي، ص438، تفسير البيهقي ص12، إذا أرجعنا الصابئة إلى (صبأ) بمعنى خرج أو إلى (صبا) بمعنى الميل فكلاهما يؤكد القول بأن الصابئة طائفة خرجت من دين إلى دين آخر والتزمت التعميد إعلانا منها لهذا الخروج عن الدين الأول والميل والدخول في دين جديد، انظر أيضا Thamas patric: dictionary of Islam, p.551, landan, 1885.
- (6) إبراهيم أبو الأنبياء، ص88، عباس العقاد، نهضة مصر، ط7، سنة 2007 انظر أيضا sinasi Gundz: The knowledge of life, p.15: 11, Oxpord univ. 1994 جانديس إلى أن المندائية تأثرت بما ذهب إليه البابليون في الكواكب وآلهة الكواكب والهيكل، وشابه سيمس بين ما جاء في التعويذات السومارية وما قالت به المندائية في السحر والتعاويذ وفي النهاية يرجع كثير مما جاء في دين المندائية إلى التأثير البابلي.
- (7) الكامل في التاريخ مج1، ص63، ابن الأثير، دار صادر بيروت سنة 1982.
- (8) أديان العرب في الجاهلية ص5، على الجارم.
- (9) القرطبي ص 438.
- (10) الصابئون ، ص14، عبد الله سمك.
- (11) أديان العرب في الجاهلية، ص184، على الجارم.
- (12) بداية القدماء وهداية الحكماء، ص3، رفاعه بدوى رافع، دار الطباعة العامرة سنة 1254، الكامل في التاريخ ص54، 55 أيضا الصابئون، ص37، 38، لما بلغ شيث من العمر مائتين وخمس سنين وُلد له انوش، وتقول الصابئة إنه وُلد لشيث ابن آخر اسمه صابي وإليه تنسب الصابئة، واسم شيث يعنى هبة الله ومعناه أنه جاء تعويضاً عن هابيل وخلفا له، ويُعرف في اللغة المندائية بـ (شيثل برآدم)، ويسمونه شيثل وهي في لغتهم مشتقة من الجذر شتل أى غرس أو انبت كذلك يسمى شيثل طابا أى الغرس الطيب، ويتبع الصابئة في ترتيب انسابهم ما جاء في سقر التكوين فيقولون بعد شيث انوش (انش اثرا) وهو أول من زرع نخلة، ثم قنيان ثم مهلائيل ثم اليارد ثم إدريس (هوارا مازدا) واختصر إلى (هرمز)، وقد اطلقت عليه أسماء مختلفة ففى مصر القديمة هرمس، وفي العبرانية اخنوخ، وأطرميس عند اليونان وهو أول بنى آدم أعطى النبوة وخط بالقلم وأنزل عليه ثلاثين

- صحيفة، ثم متوشالح بن ادريس ثم نوح انظر الكامل ص54، 55، 59.
- (13) مندالي أو الصابئة الأقدمين، ص7، 8، عبد الحميد أفندي بن بكر عبادة، ط1، مطبعة الفرات بغداد، سنة 1927.
- (14) مروج الذهب، ج2، ص247، المسعودي تحقيق محمد عبد الحميد، المكتبة العصرية، ص1، سنة 1987، أنظر منهاج السنة ط1، ص409، ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية القاهرة.
- (15) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص47، شمس الدين الدمشقي، نشرة مهرن ليبنرج، سنة 1923.
- (16) قال بعض المؤرخين إن الصابئة من الكلدان وهم أول من سجد للأصنام وقد فعل ذلك لهم نيتوس بن غرود بن نوح ملك الآشوريين وأمر الناس بعبادته، فاقتدت الصابئة بهم، وقال البعض إنهم من السريان وتعربوا بعد الفتح وحافظوا على لغتهم وعوائدهم الدينية، انظر مندالي أو الصابئة الأقدمين ص8، 9.
- (17) الكامل في التاريخ ص 67 ابن الاثير .
- (18) مدينة حران أصلها في النقوش المسمارية (خرانو) أى الطريق، وسماها الإغريق (كران)، والرومان (كارباي) وسماها أبناء الكنيسة (هلينبولس) لأن أهلها كانوا على الوثنية، وحران مدينة قديمة في شمال غربي العراق بين الرها ورأس العين وهي مفترق طرق القوافل وهذا أثر على ما تدين به، وقد مرت بأربعة أدوار، دور قديم والذي ورد في الكتاب المقدس، ودور يوناني، ودور روماني، وآخر إسلامي، ويظن أنها مولد إبراهيم الخليل، كذلك كانت مركز عبادة (سين) إله القمر ويشبه شكل المدينة القمر .
- انظر: روح الحضارة العربية ص99، هانز هينرس شيدر، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين بيروت سنة 1949، أيضا دائرة المعارف الإسلامية ج14، ص56، اصدرها أئمة المستشرقين، إعداد وتحرير إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، مطبعة الشعب.
- (19) مندالي أو الصابئة الاقدمين ص10، 11، عبد الحميد أفندي.
- (20) صفحات من تاريخ الأديان الصابئة ص61، اختلفت آراء علماء اللغات في تقسيم الآرامية، فقسموها إلى قسمين إحداهما يسمى اللهجات الشرقية، وهي لهجات التلمود البابلي والسريانية والمندائية، أما الثانية فهي اللهجات الغربية وهي كل ما عدا اللهجات التي ذُكرت في القسم الأول، وعلى ذلك فالمندائية من اللهجات الشرقية ويطلق الصابئة على اجديتهم اسم (ارباكا) أو الألفية ومندال، والمندالي عندهم يعنى القديم.
- انظر: مندالي الصابئة الأقدمين ص9، أيضاً صفحات من تاريخ الأديان ص50.
- (21) الصابئون : ص 94 .
- (22) صابئة حران والتوحيد الدرزي ص3، محمد عبد الحميد حمد، دار الطليعة الجيدة سوريا، ط1، سنة 1999.

(23) لمعرفة المزيد عن هذه اللغة ومفرداتها الصابئون ، ص165: 172، أيضا مندالي الصابئة الاقدمين ص9.

(24) هذه السرية للكتب تؤكد أنها كتب مقدسة، فلو كانت مجرد كتب أدبية ما كانت سرّاً، فلم تكن كتب الأدب في أي زمان ولا مكان سرّاً، بل إننا نجد أن كتب الصابئة كان مضمون بها على أهلها أنفسهم سواء كانوا من العامة أو حتى من الخاصة إذ نجد لديهم اسراراً دينية لا يجيزون إفشاءها إلا للمستويات العليا من كهنتهم لذلك نجدهم يتلوا بعض النصوص بصوت خافت حتى لا يسمعها من يمارس الطقس الديني، هذا كله يؤكد ما ذهبنا إليه من أنها كتب مقدسة.

(25) أصول الصابئة المندائيين ص13: 16، عزيز سباهي دار المدى للثقافة والنشر سوريا، ط1، سنة 1996، مندالي الصابئة الاقدمين، ص12، 13، أيضا صفحات من تاريخ الأديان، ص66: 72.

(26) تذكر السيدة إيثيل ستيفانا دراور (عاشت في العراق ما يناهز الربع قرن استهوتها دراسة الأديان القديمة وتخصصت في المندائية ولذلك اتقنت اللغة العربية والسريانية وتقربت لرجال الدين المندائي واستطاعت أن تكسب ثقتهم حتى أباحوا لها بأسرارهم الدينية بما فيها تلك التي حجبوها عن عامة الطائفة) تذكر أن هذه المجموعة من الكتب والتي تضم الأناشيد والتراتيل والصلوات هي ما تعرف باسم (نياني) وترجمة هذا الكتب باسم الصلوات القانوني أو القليستا، لكننا نجد عبد الحميد أفندي والذي كان جاراً لأحد الصابئة وبعد أن اطمئن له هذا الصابئ أطلعه على الكتب وكان منها كتاب يسمى (النفوس) ويذكر عبد الحميد أفندي أن هذا الكتاب مكتوب بالسريانية وهو مقسم لثلاثة إلى الصلاة والعبادات والتلث الآخر يتعلق بأحوال الموتى.

من هنا يكون هذا الكتاب (النفوس) هو نفسه كتاب (الصلوات) لأن المحتوى فيهما واحد، وكلاهما شيئاً مختلفاً عن كتاب (نياني) الذي ذكره أيضا على أنه مغاير لكتاب النفوس، كذلك يذهب إلى أن كل هذه الكتب منزلة على آدم أبي البشر إلا كتاب ادرفشه ديهايا.

(27) عندما نتحدث عن الكهنة فهذا يعني كل السلطة والسلطة في كل أمور الناس، هكذا كانت كهنة مصر القديمة وهكذا كان كهنة الكنيسة وذكوك الغفران وغير ذلك مما حدث في اوربا تحت ستار الدين، كذلك نجده عند الصابئة ، فالكهنة في أي دين يعتقدوا أنهم وحدهم الممسكين بمقاليد الدين ويشيعوا هذه الأفكار بين الناس وساعدهم على ذلك احتكارهم للغة التي كتبت بها كتبهم، بل احتكروا الكتب نفسها وضنوا بها ليس فقط على العامة من اتباع الطائفة بل ايضا على بعض رجال الدين. هذا الوضع لا نجده في الدين الإسلامي، فالدين الإسلامي ليس فيه كهنوت أو رجل دين، فالدين ليس حكراً على أحد من الرجال دون غيره، فمن حق أي أنسان في ظل هذا الدين (أو خارجه) أن يفتح كتابه ويتفهمه فليس هناك رجل دين، بل نجد عالم دين، وهناك فارق كبير بين رجل الدين وعالم الدين.

(28) الرسة: هي رداء أبيض يجب لبسه على من يباشر أمراً دينياً مهما كان بسيطاً، ويتألف من سبع قطع العمامة والنصيفة للرأس، والثوب والسروال للجسد، والهيمانة والدشة للحزام، والكابوع وهو كالروب يغطي الجسم كله.

(29) المندى مكان مخصص لعبادة الصابئة كالمسجد للمسلم والكنيسة للنصارى، ويقام

- دائماً على ضفة نهر ويحاط بسياج من قصب وطين وتلحق به بركة للطهارة تتصل طرفيها بقناتان، واحدة تأخذ الماء من النهر والثانية تصبه فيه أو في الحقول المجاورة.
- (30) صفحات في تاريخ الأديان ص 72: 78، أيضا الصابئون، ص 152: 160.
- (31) الفهرست، ط1، ص 320، 321، ابن النديم، تحقيق محمد عوني عبد الرؤوف، إيمان السعيد جلال، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة سنة 2006، هذه الرواية التي ذكرها ابن النديم عن القطيعي تثير الكثير من الشكوك حولها، 1- هذه الرواية لم يذكرها غيره مع أن حياة المأمون وما جرى فيها من أحداث موضع اهتمام، فلو كانت الرواية صحيحة لحكاها غيره، 2- صاحب المأمون نهضة فكرية توجتها حركة الترجمة التي كان راعيا لها وكان لمتقفوا حران دوراً مهماً فيها، فكيف يكون لهم مثل هذا الدور ولم يعرف المأمون عنهم شيئاً، 3- يذكر ابن النديم أنهم كانوا يدفعون الجزية فكيف يكون ذلك وهم ليسوا بصابئة، 4- أن القطيعي اختار للواقعة زمناً لا يسمح لأحد أن يحكى من بعده القصة، فاختار الفترة الواقعة قبل وفاة المأمون مباشرة لكي يقطع أي توابع لقصته، من هنا كانت روايته تلك تحتاج دليل وبرهان للمزيد حول هذا الموضوع انظر أصول الصابئة المندائية ص31.
- (32) صفحات من الأديان ص56.
- (33) المغنى الفرق غير الإسلامية، ج5، ص152، عبد الجبار المعتزلى، تحقيق محمود الخضيرى، مراجعة إبراهيم مدكور، إشراف طه حسين، الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة 1965، تلبس ابليس، ص87، ابن الجوزى، الناشر النور الإسلامية، انظر أيضاً Dictionary of Islam, p.551 .
- (34) الملل والنحل، ج2، ص76، يفرق ابن تيمية بين الصابئة المشركين الذين يذكروهم الله تعالى في كتابه الكريم في سورة الحج:17، وبين الصابئة الموحدين الذين يثنى الله عليهم في سورة البقرة: 62، انظر منهاج السنة، ج1، ص5
- (35) من كتاب الكنز نقلا عن صفحات من الأديان، ص83، أيضا مندالى الصابئة الاقدمين، ص13.
- (36) الملل والنحل ج2، ص 76: 77، أيضا أنظر العقيدة دراسة مقارنة، ص72، عبد الفتاح الفاوى، ط1، سنة 1990، هل يمكن أن نقول إن الصابئة عبدة شمس أو قمر أو ما شابه ذلك؟ إننا نجد الإجابة على هذا السؤال في كتاب (القلستا) الذى يحوى مجموعة من الصلوات والتراتيل التى تؤكد أن الصابئة لم يكونوا عبدة شمس ولا قمر ولا ناراً وهذا ما أكده القرآن الكريم، فأبراهيم أبو الأنبياء ذكر القرآن عنه أنه عندما كان يبحث عن الله فشك في الشمس والقمر ولم يرض بهما آلهه، ونجد في القلستا ما يؤكد أنه لم يكونوا عبدة شمس ولا قمر فتقول ترتيلة العماد (وهذه الترتيلة بمثابة حوار بين الأب شيث وبين جماعة من الذين يطلبون منه أن يعمدهم في الأردن) يقول لهم : إن جئت لتعميدكم فمن سيكون شاهدكم؟ قالوا هذه الشمس المشرقة علينا ستكون شاهدنا، فقال: ليس الشمس مطلبي، فالشمس التى عنها تتحدثون تغرب في المساء فهى باطلة زائفة، والساجدون للشمس سينتهون إلى زوال، ويتكرر السؤال وتتكرر الإجابة بالقمر والنار، فيرفضها ولا يوافقهم

على التعميد إلا بعد ان اجابوه بأن الأردن وضمفتاه ولقمة الخبز وجرعة الماء والإيمان الحق ستكون شهودنا هذا البيت الذى يجمعنا للعبادة هو شاهدنا الصدقات، وحينما تصدر روحنا إلى دار البقاء فسوف تأتى هذه الشهود وتكون شهود حق وسبحان الله، هذا كله يؤكد أنهم ليسوا عبدة شمس ولا قمر، ويؤكد أن عقيدة المندائية عقيدة موحدة بشكل قاطع وانهم ليسوا عبدة كواكب ونجوم وانما جاء ذلك الوهم من توجيههم للنجم القطبي أوقات الصلاة، كذلك من اهتمامهم بالتنجيم ويؤكد هذا السيد نعيم بدوى وهو واحد من الصابئة.

(37) الصابئون، ص99.

(38) الملل والنحل، ص80، 81، يذهب ابن النديم في فهرسة ص319، إلى رأى مخالف لما ذهب إليه الشهر ستانى في موقف الصابئة من النبوة، فيرى انهم يقولون إن النبي برئ من المذمومات في النفس والآفات في الجسم والكمال في كل محمود، وأن لا يقصر عن الإجابة بصواب كل مسألة، فالمعرفة عنده كاملة ويخبر بما في الأوهام ويوجب دعوته في إنزال الغيث ودفع الآفات عن النبات والحيوان، ويكون مذهبه ما يصلح به العالم، وعلى هذا تكون الصفات التى تحدث عنها الشهرستانى لا تخص قول المندائية في النبوة بل قول طائفة أخرى غيرهم.

(39) أبو الانبياء، ص86.

(40) عندما تتحدث الصابئة عن إبراهيم، فهى لا تقصد به إبراهيم الخليل، بل هو (بهرام ربو) وهو الموكل بحراسة الانهار، لذلك فهم يبتهلون إليه في الصلاة، أما إبراهيم الخليل فهم يعدوه من الملعونين، لأنه خرج عن دين الصابئة، فعلى الرغم من أن ابراهيم كان نصورائيا (رجل دين) إلا أنه خرج عن ملتهم وتحالف مع قوى الظلام (يوربا) واستمد منه قوته، وسبب ذلك أن إبراهيم ابتلى بدمل اضطر معه إلى إجراء ختان لنفسه، من هنا أصبح لا يستطيع أن يكون كاهنا، لأن الصابئة اعتبرته من المشوهين ناقص الأعضاء وهؤلاء فى نظرهم غير طاهرين، فلما اكتشف أخوه ما حدث له قال له: إن منشأ مرضك كان من عالم الظلام وانك اقترفت ذنبا، فالطاهر النقي لا يمكن ان يصيبه مرض، فذهب إبراهيم بعيداً إلى البراري وتجمع معه الأنجاس من الصابئة المجذومين ومبتورى الأعضاء وكون إبراهيم ومن معه قوة باتحادهم مع يوربا الذى منح إبراهيم قوة سحرية قهر بها النار فلم تحرقه، ثم أخذ الصابئة عنوه وأخذ يختنهم وجعلهم انجاساً، لذلك كرهه الصابئة واعتبروه من الملعونين، انظر الصابئون، ص42، 43، 101، انظر الفصل في الملل والنحل، ط1، ص84، بن حزم، مكتبة السلام العالمية، أيضاً منهاج السنة، ط1، ص6.

(41) مندالى الصابئة الأقدمين ص26، يذهب ابن حزم في الفصل في الملل والنحل، ص93، إلى أن الصابئة قالوا بأنبياء لا يوفن بصحة قولهم فيهم كعادمون واسقلابيوس وايلون، ويتسائل ابن حزم عن دليلهم على صحة قولهم وينتهى إلى أن الدليل لا بد أن يقوم على القول بالمعجزة، وليس هذا عندهم، بل النقل هو دليلهم، لكن النقل الذى قالوا به لا يقوم حجة ويرجع ابن حزم ذلك إلى قلة عددهم، إذ لا يبلغون أربعين.

(42) أصول الصابئة المندائيين، ص129، أيضاً صفحات في تاريخ الأديان ص94.

(43) الصابئون، ص118: 120.

(44) أبو الأنبياء، ص87.

(45) صفحات من تاريخ الأديان، ص95.

(46) أصول الصابئة المندائية، ص32.

(47) مندالي الصابئة الأقدمين، ص43: 46، أيضاً من تاريخ الأديان، ص107: 109.

(48) كنزا ربا نقلا عن أصول الصابئة المندائية، ص98.

(49) الصابئون، ص140.

(50) مندالي الصابئة الأقدمين، ص38، 59.

(51) إن الصابئة لا تحزن على موتاهم، بل حُرْم عليهم الحزن، فماتهم أشبه بأفراح يوم الزفاف، ويعتقدوا أن كل دمعه على الميت تصير نهراً في طريق نفسه تعجز عن قطعة، وكان ذلك أسوة بما أوحى به يحيى وزوجه، فلما قضى يحيى رسالته وكانت مدتها أربعاً وأربعين سنة أحس بدنو أجله فدعا زوجه وجرى بينهما حديثاً ثم أوصاها بأنه إذا مات فخير ما تصنع أن تبتهل في راحة نفسه وتذبح الغنم وتدعى الأساقف والكهنة ليصلوا عليه، وإن تبقى على يشاشتها وتطلق أصوات الفرخ، ويجدر بنا الإشارة إلى أن البعض ذهب إلى القول بأن الصابئة لم تعرف الدفن إلا بعد أن أقام (مندود داني) على جثة يحيى قبراً من هنا بدأ الصابئة يدفنون موتاهم، وهذا القول فيما أرى يشوبه الكثير من الشكوك ذلك أن ما يروي أن قابيل عندما قتل أخاه هابيل لم يستطع أن يوارى جثة أخيه إلى أن أرسل الله له غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سواة أخيه، من هنا عرف الإنسان الدفن منذ قتل قابيل هابيل وهما سابقين على تلك الطائفة.

انظر مجلة البيان، ص 104، السنة الأولى، مطبعة البيان مصر سنة 1897، أيضا الكامل في التاريخ، ص43.

(52) حرم عليهم العزوبة فيقال إن يحيى بعد أن قرر شرائه دعوته خرج إلى غُدوة الأردن فعمد هناك (ايشو مشيخو) أى عيس المسيح وغاص في صلواته، وكان أول مسألة ابتهل بها إلى الله أن يصونه من حبات النساء وقضى حياته مبهتلاً واقتدى به أتباعه، فعاشوا عُداباً، فجاءت رسالة إلى يحيى تحرم العذوبة وتدعو إلى الزواج، فنجد فى دراشا ديهيا في الرسالة الحادية والثلاثين تقول يا يحيى إنك كالجبل الذى سفته النار ولم يعد يعطى عنباً في هذا العالم، إنك كجدول جف ولم تعد تنبت على ضفتيه الأشجار، لم يخلف من يذكر اسمك من سيزودك بالمؤونة من سيمشى وراء نعشك.

عندما سمع يحيى هذا تجمعت دمعة في عينيه وقال سيكون من السار إن اقترن بزوجه ويسعدنى أن أنجب أطفالاً، لكن لو اقترنت بزوجه ثم جاء النوم والرغبة فيها تملكنتى ونسيت صلاتى في الليل ونسيت ربي، ليت الرغبة لا تستيقظ، وما إن قال يحيى ذلك حتى جاءته رسالة تقول يا يحيى تزوج وكون عائلة ولا تسمح لهذا العالم أن يصل إلى نهاية ثم وصته الرسالة بعد هذا بأن ينظم وقته بين عبادة ربه وإرضاء زوجته، من هنا حُرْم عليها العزوبة وتزوج كهنتهم.

انظر أصول الصابئة المندائية، ص104، مجلة البيان، ص103.

(53) العقيدة دراسة مقارنة، ص73.

(54) الغنوصية: مشتقة من الكلمة الاغريقية gonasis أى المعرفة، ظهرت بشكل واضح منذ القرن الأول الميلادى وإن كانت جذورها تمتد أبعد من ذلك بكثير، والغنوص في أساسه معرفة أشياء دينية تسمو على مستوى عامة المؤمنين، ثم تحول الغنوص إلى المعتقدات السرية والخفية، كذلك هى مذهب يجمع بين الفلسفة والدين ويقوم على أساس فكرة الصدور ومزج المعارف الإنسانية بعضها ببعض ويشتمل على طائفة من الآراء المضمون بها على غير أهلها، واشتمل على تعاليم أفلاطونية وشرقية وكان له أثره في التفكير الفلسفي المسيحي والإسلامي، والمعرفة عندهم أشبه بالكشف عند الصوفية وكما يقول فالنتينفوس (من كبار دعاه الغنوصية) إن من يملك قلباً طاهراً لم تدنسه الخطنية ويشع بالنور فإنه يبارك برؤية الله، ومهمة الغنوص تحرير النفس التي هى قيس من الجوهر المقدس من محبسها، انظر المعجم الفلسفي، ص133، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة للمطابع الاميرية سنة 1983.

(55) مندالى الصابئة الأقدمين ص 24 : 26، أيضا صفحات من تاريخ الأديان ص 50، 51.

(56) مجلة البيان ص98، أيضا مندالى ص17.

(57) الكنزا، نقلا عن أصول الصابئة ص155.

(58) The knowledge of life: p.81, 85.

(59) المغنى، ج5، ص252، القاضى عبد الجبار المعتزلى.

(60) الصابئون، ص115.

(61) مروج الذهب، ص248.

(62) مارشيا ربا، نقلا عن الصابئون، ص 115، 117.

(63) إبراهيم أبو الأنبياء، ص84، أيضا انظر

The knowledge of life. P.74: 105.

(64) تاريخ اليهود منذ أقدم العصور ص4، أحمد محمود هويدى، دار الثقافة العربية.

(65) نص الكنزا الرسالة الخامسة نقلا عن أصول الصابئة ، ص102: 103، أيضا The knowledge of life: p. 84.

(66) نص سيدرايهيا نقلا عن أصول الصابئة، ص102.

(67) الناصورائي؛ ذهب البعض إلى أن الناصورائية نسبة إلى مدينة الناصرة والبعض الآخر ذهب إلى أنهم من النصيرين وهم غلاة الشبيعة، وهذا كله ليس صحيحا بل الناصورائي في المنداثية تعنى رجل الدين أو الكاهن الذى يمتلك المعرفة الحقيقية والضليع بمعارفة الدينية.

(68) حدثت الثورة اليهودية الأولى في عصر المكابيين (المكابى هو يهوذا ابن الكاهن مانياس وسمى ابتاعا بالمكابيين) وذلك عندما أصدر الملك أنطيوخوس الرابع قرارات ضد اليهود منها تدنيس يوم السبت وتحريم الختان وتقديم الأضاحى للآلهة اليونانية واعتبار زيوس مساو ليهوه، ثم اجبر اليهود على ذلك بمساعدة الموالين له من اليهود المتأغرقين، كل هذا زاد الحنق على الملك وأعوانه فقامت ثورة اليهود الأولى.

انظر تاريخ اليهود منذ أقدم العصور، ص131، 132.

(69) يهوه هو الإله الذى عبده العبريون وهذا هو الاسم الذى أخبر الرب موسى حسب رواية الخروج، وقد اختلف العلماء حول معنى يهوه، ففسره البعض بمعنى (هو الذى يكون) أو (هو الذى يُوجد) أى الخالق، ومن التفسيرات الأخرى تفسير فلها وزن الذى اشتق يهوه من الفعل العربي (هوى) بمعنى يسبب السقوط، أو يهب. أو يهوى نسبة إلى إحدى صفات الإله يهوى الأساسية وهو أنه إله الريح والعواصف

انظر: علاقة الاسلام باليهودية رؤية اسلامية، ص108، محمد خليفة حسن، مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة العدد 23 سنة 2002.

The knowledge of life, p.83 (70)

(71) علاقة الإسلام باليهودية، ص99.

(72) أصول الصابئة: ص25، صفحات من الأديان، ص47، وقد يرجع عداة المسيحية للصابئة إلى عدائها للغنوصية بشكل عام والصابئة منهم.

(73) المرجع السابق، ص34، 36.

(74) ورد عن مولد يحيى في الإنجيل بأنه كانت الصابئة عند مولده قد انقضوا من العالم لأن أساقفهم وكهنهم قد ماتوا فبقوا من غير هاد، ثم اختلطوا ببعض طوائف اليهود، وانقطع الوفد من عالم الأنوار فاستوحسن أهله ورفعوا أمرهم إلى (مورود ربوتو) فاستخضر مندوداي أحد الثلاثمائة والستين شخص السماويين وأمره بأن جاء بإناء فيه ماء وتلا عليه كلمات سرية ودفعه إلى واحد من الملائكة وأمره أن ينطلق بها إلى (ابنوشوى) أم يحيى فعطشت وشربت من الإناء وحملت، وفي الليلة التالية رأى أحد اليهود في حلمة أن ابنوشوى قد حملت وأن الولد الذى ستضعه سيكون زعيما على الأمة ويدين اليهود لأمره.

عندما قص هذا الرجل حلمه إلى كبير الكهنة بدأوا في تفسيره وعزموا الأمر على قتل هذا الطفل عندما يولد، وبالفعل عندما جاء لأينوشوى آلام المخاض أحاط بها نساء اليهود لينفذوا الأمر إلا أنهم لم يتمكنوا لأن الملك الموكل بالمواليد نزل وأخرج الطفل من فم أمه وأخذه إلى الفردوس حيث هناك شجرة على أغصانها ثدى كثيرة حافلة باللبن فوضع منها. لمعرفة المزيد حول هذا الموضوع انظر مجلة البيان، ص100: 103، أيضا الصابئون، ص52.

(75) تثبيت دلائل النبوة، ص162: 169، القاضى عبد الجبار المعتزلى.

(76) سورة المائدة 69، يتخذ بعض المتشككين من هذه الآية دليلا على أن القرآن الكريم به تحريف، ويقولون لفظة الصابئيين لا بد أن تكون منصوب وهى هنا مرفوعة، والحقيقة أن هؤلاء ضعاف العقول والقلوب الذين يلحدون في آيات الله لا دراية لهم بالنحو ولا بالصرف ولا بالبلاغة وليسوا هم طلاب حق، والذى سيطر على تفكيرهم البحث في العورات في كتاب لا عورات فيه بل هو أصدق بيان في الكون كله، أن هذه المخالفة التى يتكلمون عنها هى أشبه بالنبر الصوتى في بعض الكلمات، والتى يراد منها لفت الانتظار إليها، لقد وردت لفظة (الصابئون) على الرفع لأعلى النصب وذهب سيبيويه

- إلى أنها مرفوعة على الابتداء وخبرها محذوف والجملة معطوفة على نية التأخير على موضع أن واسمها وخبرها فكأن الآية بتلك المخالفة تقول كل هؤلاء إن آمنوا وعملوا صالحاً قبل الله توبتهم حتى الصابئون انظر أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 199 : 200، حسن طبل، س 1990.
- (77) الصابئة عقيدة ومذهب، ص 16، مرفت بال.
- (78) اثبات النبوات، ص 178: 179، أبو يعقوب السجستاني، تحقيق عارف تامر، ط 2، دار الشرق.
- (79) المحيط بالتكليف، ص 227 القاضي عبد الجبار، تحقيق عمر السيد عزمي، مراجعة أحمد الأهواني، الدر المصرية للتأليف والنشر يفند القاضي قول الصابئة بالكواكب كمؤثر في أحوال الدنيا جميعها وينتهي إلى ابطال رأيهم انظر المحيط بالتكليف، ص 288.
- (80) المغنى، ج 5، ص 153: 154.
- (81) تاريخ الفلسفة في الاسلام، ص 22: 23، دي بور، ترجمة عبد الهادي أبو ريده، القاهرة سنة 1957.
- (82) مروج الذهب، ص 247: 248.
- (83) رسائل اخوان الصفا، ج 3، ص 492، الهيئة العامة لقصور الثقافة اغسطس سنة 1996.
- (84) المصدر السابق، ص 452.
- (85) الملل والنحل، ص 120.
- (86) صابئة حران والتوحيد الدرزي ص 61، محمد عبد الحميد حمد، دار الطليعة سوريا سنة 1999.
- (87) رسائل اخوان الصفا، ج 3، ص 453.
- (88) صابئة حران والتوحيد الدرزي ص 62، الصابئة الحرانية ذهبت إلى الخضوع والخنوع وذلك تبعاً للتقية التي كانت سمة مميزة لكل أصحاب الباطن.
- (89) المرجع السابق، ص 67.
- (90) الملل والنحل، ص 124.
- (91) إن عذاب النفس عند الحرانية يكون في عدم وصولها إلى المعرفة الحقيقية، معرفة العلوم الالهية في عالم المعقولات، ذلك العالم الذي كانت تعيش فيه من قبل والذي لم تتذكره بعد سقوطها على الأرض ذلك لأنها انشغلت بالجسد الذي حال دون معرفتها للأشياء الشريفة، لذلك يكون عذابها في أن تظل على الأرض.
- (92) هو شهاب الدين السهروردي ويُعرف بالسهروردي المقتول، وذلك لأنه قتل وصلب في حلب عام 587 هـ، وذلك لقوله بالتاسخ والحلول، انظر صابئة حران، ص 7.
- (93) رسائل إخوان الصفا، ج 3، ص 294.
- (94) المصدر السابق، ص 292.
- (95) صابئة حران والتوحيد، ص 65.
- (96) رسائل إخوان الصفا، ج 3، ص 63.

- (97) رسائل إخوان الصفا، ج2، ص 60، الهيئة العامة لقصور الثقافة، يوليو سنة 1996.
- (98) صابئة حران والتوحيد، ص 68: 69.
- (99) لمزيد من معرفة العلاقة بين السامرية والحرائية انظر الصابئة عقيدة ومذهب، ص 41: 44.
- (100) لمزيد من المعرفة حول إسهامات الحرائية، انظر الادباء الصابئة في العصر العباسي محمد الديباجي منشورات جامعة الحسن الثاني، ط 1، سنة 1989، دائرة المعارف الاسلامية، ج 14، ص 57، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص23: 24، أيضا روح الحضارة العربية ، ص99.

أهم المصادر والمراجع :

- (1) إبراهيم أبو الأنبياء: عباس محمود العقاد، نهضة مصر، ط7.
- (2) إثبات النبوات: أبو يعقوب السجستاني، تحقيق عارف تامر، دار الشرق، ط2.
- (3) أديان العرب في الجاهلية: على الجارم.
- (4) أسلوب الالتفاف في البلاغة القرآنية: حسن طبل، سنة 1990.
- (5) أصول الصابئة المندائيين ومعتقداتهم الدينية: عزيز سباهي، دار الصدى للثقافة والنشر سوريا، ط1، سنة 1996.
- (6) الصابئون: عبد الله سمك، مكتبة الآداب القاهرة، ط1، سنة 1995.
- (7) الصابئة عقيدة ومذهب: مرفت بال، مجلة كلية الآداب الزقازيق.
- (8) العقيدة دراسة مقارنة: عبد الفتاح الفاوي، ط1، 1990.
- (9) الفصل في الملل والنحل، ج1، ابن حزم، مكتبة السلام العالمية.
- (10) الفهرست: ابن النديم، تحقيق محمد عوني عبد الرؤوف، إيمان السعيد جلال، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة، سنة 2006.
- (11) الكامل في التاريخ: ابن الاثير، مج1، دار صادر بيروت، سنة 1982.
- (12) المحيط بالتكليف: القاضي عبد الجبار المعتزلي، تحقيق عمر السيد عزمي، مراجعة أحمد الأهواني، الدار المصرية للتأليف والنشر.
- (13) المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، سنة 1983.
- (14) المغنى (الفرق غير الإسلامية) ج5: القاضي عبد الجبار، تحقيق محمود الخضيرى، مراجعة إبراهيم مذكور، إشراف طه حسين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، سنة 1965.
- (15) الملل والنحل ج2: الشهرستاني، مكتبة السلام العالمية.
- (16) الأدباء الصابئة في العصر العباسي: محمد الديباجي، منشورات جامعة الحسن الثاني، ط1، سنة 1989.
- (17) بداية القدماء وهداية الحكماء: رفاعة بدوى رافع، دار الطباعة العامرة، سنة 1254.
- (18) تاريخ الفلسفة في الاسلام: دى بور، ترجمة عبد الهادى أبو ريده، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط4، سنة 1957.
- (19) تاريخ اليهود منذ أقدم العصور: أحمد محمود هويدى، دار الثقافة العربية.
- (20) تثبيت دلائل النبوة: القاضي عبد الجبار المعتزلي، تحقيق عبد الكريم عثمان، الدار العربية للطباعة والنشر، بيروت، سنة 1966.
- (21) تلبيس ابليس: ابن الجوزى، دار النور الإسلامية.
- (22) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية: مصطفى عبد الرازق، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط2، سنة 1959.
- (23) دائرة المعارف الإسلامية، ج14، ائمة المستشرقين، اعداد وتحرير إبراهيم

- خورشيد، عبد الحميد يونس، مطبعة الشعب.
- (24) روح الحضارة العربية: هانز هينرس شيدر، ترجمة عبد الرحمن بدوى، دار العلم للملايين، بيروت، سنة 1949.
- (25) رسائل اخوان الصفا، ج3، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سنة 1996
- (26) صابئة حران والتوحيد الدرزي: محمد عبد الحميد حمد، دار الطليعة الجديدة سوريا، ط1، سنة 1999.
- (27) صفحات من تاريخ الأديان: على محمد عبد الوهاب، دار ركابي للنشر القاهرة، ط1، سنة 1996.
- (28) علاقة الإسلام باليهودية (رؤية إسلامية): محمد خليفة حسن، مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة، سنة 2002.
- (29) مجلة البيان، مطبعة البيان بمصر السنة الأولى، سنة 1897.
- (30) مروج الذهب ج2: المسعودى، تحقيق محمد عبد الحميد، المكتبة العصرية، سنة 1987.
- (31) منهاج السنة ج1: ابن تيمية، تحقيق رشاد سالم مكتبة ابن تيمية.
- (32) مندالى أو الصابئة الأقدمين: عبد الحميد افندى بن بكر عباده، مطبعة الفرات بغداد، ط1، سنة 1927.
- (33) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر: شمس الدين دمشقي، نشرة مهرن ليبزج، سنة 1923.
- (34) Dictionary of islam: Thamas Patric, landan, 1885.
- (35) The Knowledge of life (the arigins and early history of the mandaeans and their relation to the sabians of the Qur'an: Sinasi Gunduz, published by axfard univ, 1994.